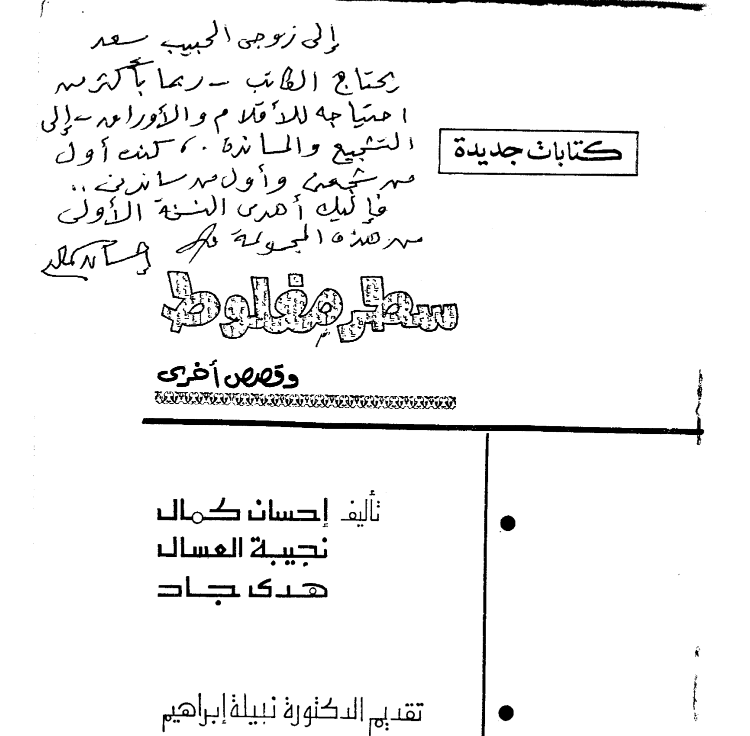


كتابات جديدة

سطر مغلوط

وقصص أخرى

تأليف إحسان كمال
نجيبة العسال
هدى جاد

تقديم الدكتورة نبيلة إبراهيم

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٩٧١

تقـــديم

أهم ما يلفت النظر فى هذه المجموعة هو استعمال الكاتبة للرمز • ففى قصة «الحاجة عيوشة» التى فازت بجائزة نادى القصة سنة ١٩٦٢ لا نجد هذا الرمز يؤدى أى دور ولكن منذ روايتها « الوشم الأخضر » وبما رمز به الوشم على وجه صاحبته من أصالة ريفية وصلابة وسماحة تنعكس على أحداث الرواية ، منذ هذه الرواية ألفت هذا النوع من الرمز فنراه مكررا بشكل واضح فى أكثر قصصها القصيرة فى هذه المجموعة • ولكنه يتخذ منحى جديدا فبدل أن يكون مجرد رمز نراه يتنوع تنوعا متطورا يعكس فى تقابل حركة القصة • ورمز الجرو والصبى واللقمة السائغةمعكوسا على البطلة والأب وغزالة هانم فى تقابل فنى جميل • كل هذه الرموز المتقابلة التى تكلف بها المؤلفة تعمق المدلول وتعطى له شيئا من نكهة شعرية ملائمة للقصة القصيرة • وميزة أخرى فى قصص هدى جاد هو تكرار القفلة التى تشبه قفلة الغناء أو التواشيح عندما تكرر مجموعة جمل بعينها مرة قبل الأحداث ومرة بعدها وما يشعرنا ذلك من أن هناك وراء كل هذا الذى يدور ويدور قدرا ثابتا لا يكاد يعبأ بما نراه من جسائم الاحداث • وفى قصة الحاجة عيوشة نجد نفس القفلة المكررة من البداية وهذا يكسب القصة نوعا من أسلوب الشعر ويعمق الاحساس بتكرار الزمن وتكرار الزمن عادة عنصر هام فى جو القصة التى تستعمل الكاتبة

فيها هذا التكرار . وأهم ما يؤهلها فى نظرى الى التفوق فى القصة القصيرة هو فنيتها فى انهاء القصة . انها لا تنهى الحدث فيها فى وضوح فى أكثر الأحيان وانما هى ترمز اليه من بعيد على اختلاف فى هذا البعد . ففى قصة «صدى» نرى النهاية واضحة تقريبا وفى أغلب القصص نرى النهاية شبه واضحة وهى تغلفها فى رمز واقتضاب فتكسب بذلك قوة ويشتد بعدها ورمزها .

يجب ألا نقف من مثل هذه الموهبة مشجعين فحسب وانما يجب أن نقف أمامها مسئولين . أهلا بالزميلة فى عالم الكتابة وأخلص العهد على أن نكون نحن قارئيها مسئولين أمامها وأمام الأدب بعامة عن تقويم انتاجها واذكاء رغبتها المشروعة القوية فى أن تتفوق فى فنها بالعمل الدائب والتضحية المتفانية ؟

١٩٦٦/٧/٢٠

د . سهير القلماوى

مقـدمة

بقلم الدكتورة نبيلة ابراهيم

ظلت المرأة تكافح قرونا طويلة فى جميع أنحاء العالم فى سبيل الحصول على حريتها ومساواتها بالرجل فى حقوقه • وقد ناصرهـا فى المطالبة بهذه الحقوق قلة من الرجال الذين شعروا بالظلم الواقع عليها فى مجتمع وضع الرجال أنفسهم قوانينه • ونجحت المرأة فى الحصول على حريتها فى بلد تلو الآخر ، وفقا للظروف الحضـــارية التى عاشـتها البلاد المختلفة • ولم يكن يدور بخلد المرأة وهى فى زهوة الانتصار ، أن حياتها الجديدة ستصبح أكثر تعقيدا من حياتها الأولى بكثير • وهى لم تـدرك هذا تمامـا الا بعـد أن تحررت من قيودها القديمة ، وخرجت الى الحياة لتقف مع الرجل جنبا الى جنب، وبعد أن عاشت تلك التجربة جيلا بعد جيل . عندئذ اخذت تقدر محصولها من حياتها الجديدة ، كما أنها أخذت تتساءل فى مرارة عما اذا كانت قد تحررت من قيودها القديمة حقا . فقد كانت المرأة قد رضيت فى عصورها الرجعية بأن تقبع فى عقر دارها ، وأن تكون علاقتها بالرجل علاقة جنسية فحسب • وبناء على ذلك فقد كان الرجل يلبى احتياجاته خارج البيت ، دون أن تقف المرأة موقف المتصارع منه ، فتحاسبه على تصرفاته ، وتطلب منـه اشراكهـــا

فى حياته · ولهذا فقد كانت الحياة هادئة على الأقل فى ظاهرها ، حينما كانت خلوا من الصراع بين الجنسين . أما فى حياتها الجديدة، فالمرأة تتكلف عناء كبيرا فى سبيل تحقيق شخصيتها المتكاملة تلك الشخصية التى أطمعها المجتمع ، عندما سلم لها قياد حياتها ، بأنها حق لها · وأنى يتسنى لها ذلك ، وهى تجد ان العقبات تلو العقبات تحول دون تحقيق هذه الشخصية المتكاملة ، فقد تضاعفت متاعبها نتيجة احساسها بمسئولياتها داخل البيت وخارجه ، فهى تكد وتتعب لتشارك ماديا فى حياة العائلة ، وهو الأمر الذى كانت فى غنى عنه فى حياتها القديمة · كما أن حياتها الطبيعية ما تزال تفرض عليها أن يكون البيت مملكتها ، فهى تقضى وقت فراغها بين جدرانه ، تشرف عليه وتنظمه ، وتزيل أتربته وترعى أولادها ، بمساعدة عاملة أو بدون مساعدة اذا تطلب الأمر ذلك · ولكن ماذا عن العالم الخارجى ؟ هل تظل مقتنعة بأن ترى العالم الخارجى من خلال زوجها اذا كان من النوع الذى يشارك المرأة الحديث المتجدد ويبوح لها بمكنون أسراره ؟ ان هذا اذا أرضاها فترة ، فهو لن يرضى على الدوام نفسها الثائرة الطموح · فما بالها اذا كان زوجها من النوع الذى يجد فى البيت راحة مادية فحسب ، ثم ما يلبث أن يترك البيت لعالمه الخارجى ؟ ثم ما بالها ، اذا كان زوجها ، فضلا عن ذلك ، من النوع الذى يحن الى المرأة الأخرى على الدوام ؟ عندئذ يتضاعف عذاب المرأة ، وتصبح نهبا للهواجس ، حتى تظل حياتها جحيما لا يطاق · وهنا يبدأ صراعها مع نفسها ومع من يعاشرها حتى تكون فى النهاية امرأة متجهمة الوجه ، عصبية المزاج متسائلة على الدوام · ماذا جنت من حياتها الجديدة ؟

فاذا كانت المرأة صاحبة شخصية قوية تمكنها من الخروج من داخل اطار الحياة العائلية الضيق الى العالم الخارجى ، لتؤكد

وجودها بأن تقيم علاقات انسانية بينها وبين مجتمعها ، قد تتطور وتتبلور فى شكل عمل اجتماعى له قيمته ، فان هذا قد يضير الرجل حينما يجد نفسه مفتقدا للمرأة الوديعة ، الراضية بحياتها المنزلية المألوفة وحسب • وقد تكون المرأة من النوع الذى يبغى الانطلاق من أجل الانطلاق وحده • وهـــذه المرأة اما أنها تعاشر رجلا مستكينا يرضخ لها ولا يجرؤ على محاسبتها ، أو أنها تعاشر رجلا يتمتع بشخصية قوية ، فيختلف معها ويحاول أن يقيـــد تحركاتها ويفرض سلطانه عليها ، حتى تصبح حياتهما معا حياة صراع على الدوام •

وخلاصة القول أن الرجل بخاصة فى بيئتنا الشرقية لايعارض خروج المرأة الى الحياة لكى تعمل مع الرجل جنبا الى جنب وبخاصة أن هـذا العمل قد أزاح عنه عبء تحمل تفقات الحياة العائليـــة وحده • ولكنه بعد ذلك يعارض كل المعارضة فى أن يكون للمرأة كيانها الاجتماعى المستقل ، كما يرفض تمامــــا أن يكون البيت بالنسبة للمرأة وظيفة ثانوية ، الى جانب عالمها الخارجى الأرحب • أى أن الرجل ما زال يؤكد للمرأة أن البيت هو مملكتهـــا وليس المجتمع الخارجى • وما دام المجتمع قد هيأ لها أن تخرج الى الحياة عاملة أو غير عاملة ، وما دام زوجها يؤدى واجباته المادية نحو الأسرة خير أداء ، فليس لها ــ من وجهة نظر زوجها ــ أن تسرف فى مطالبها بعد ذلك ، وأن تقف منه موقف الند للند فتحاســـبه على تصرفاته التى لا ينبغى أن يسأل عنها •

وليس غريبا ، والحال هكذا ؛ أن تتراكم الأعباء النفسية على كل من الرجل والمرأة ، حتى يبدو أن كلا منهما قد يصبح عـدوا للآخر ، اذا ما عاشا شكلا من أشكال الحياة التى أشرنا اليها تحت سقف واحد • وليس غريبا بعد كل هذا أن ينشغل الأدب بالتعبير

عن هذه المشكلات النفسية عند كل من الجنسين · وكل جنس يصور بطبيعة الحال المشكلة من خلال مشاعره ومن خلال وجهة نظره ، بحيث أصبحت مشكلة المرأة فى أدبنا الحديث ، جديرة بالدراسة بحق · ونحب أن نلفت النظر الى أنه على الرغم من أن موضوع الجنس وموضوع المرأة قد يبدوان متقاربين وأحيـانا متداخلين ، فانهما مختلفان حقا من حيث التعبير النفسى والانسانى · والجدير بالذكر أن كثيرا من انتاجنا القصصى الحديث ، يفيض بالتعبير عن مشـكلة الجنس · وليس هذا غريبا ، حيث ان الجنس هو دائما الملاذ الذى يلجأ اليه الرجل الشرقى هروبا من حياة الرتابة من ناحية وتأكيدا لرجولته وكيانه من ناحية أخرى · أمـا الأدب الروائى الغربى ، فقد عرض صورا متنوعة للمرأة وقد انعكست عليها ظلال حياة الآلة والسرعة والمدنية الصاخبة وأضواؤها · فقد دفعت حياة المادة والآلة بكلا الجنسين لأن يدورا فى سرعة مع عجلة الحيـاة ، وبالتالى فانها لا تهيىء لهما الفرصة لأن يطيلا التفكير فى واقع حياتهما ، وحسبهما أن الحياة تلبى الاحتياجات المادية لكل منهما · فاذا أفاق الأديب الفنان ، وتدبر واقع الحياة التى يعيشها ، فانه سرعان ما يحس بثقلها واغراقها فى المادية · وهو لا يعفى المرأة من اسهامها فيما آلت اليه نفسه من الاحساس بالواقع المادى الكئيب ومن ثم فقد قدم أدب الرجال فى العالم الغربى صورا متنوعة للمرأة تكشف عن خلوها من عواطف المرأة الأصيلة ، كمـا تكشف عن نزوعها الى التسلط المادى وفرض سلطانها على الرجل . وفى هذا الأدب يصرخ الرجل بحثا عن ملاذ عاطفى روحانى جميل يلجأ اليه هروبا من جفاف حياة المادة .

وهكذا نرى أن المرأة قد حظيت بنصيب كبير من موضوعات الادب قديمه وحديثه ، شرقه وغربه · وبمقارنة هذه النماذج الأدبية

بعضها ببعض ، فاننا لن نستكشف صورا متنوعة لشخصية المرأة وأحوالها النفسية قديما وحديثا فحسب ، وانما نستكشف فى عمق أبعاد أطوار الحياة الاجتماعية والحضارية التى عاشها كل من الجنسين ٠

وأمامنا الآن مجموعة من القصص النسوى ، التى اختيرت من بين قصص أخرى لثلاث كاتبات مارسن كتابة القصة القصيرة منذ بضع سنين ، وهن احسان كمال ، ونجيبة العسال ، وهدى جاد ٠ وقد روعى فى اختيار هذه القصص أن تكون جلها على وجه التقريب كاشفة عن نفسية المرأة والفتاة فى بيئتنا المصرية ، ومصورة لمشاكلها فى ظروف حياتنا الاجتماعية والحضارية الراهنة ، وذلك من خلال تمثل المرأة الكاتبة نفسها لمشكلات بنى جنسها ، فما هى صور المرأة والفتاة التى تعرضها هذه المجموعة القصصية ؟

لنبدأ بقصة احسان كمال التى تقع تحت عنوان « انتظار » ومشكلة المرأة فى هذه القصة تتمثل فى الانتظار ٠ وهو ليس انتظارا لآمال وتوقعات جديدة يعيشهما الانسان الطموح ، وانما هو انتظار فرض عليها فرضا ، كما أنه يكاد يكون انتظارا من نوع واحد نلخصه فى انتظارها للرجل ٠ فمنذ أن بدأت البطلة تعى الحياة ، كانت تنتظر الأخ الذى يخرج معها خارج البيت ٠ ثم أخذت تنتظر الزوج الذى ينقلها من عالم الأبوة الى عالم الزوجية لعلها لا تنتظر بعد ذلك ٠ ولكن مشكلة الانتظار عند ذاك قد تضخمت وتزايدت فاذا هى تنتظر عودة زوجها ، وتنتظر قيامه من النوم ، والويل لها اذا حدث ما يقلق نومه كأن يختلف الأولاد ويصرخوا ٠ عندئذ يصب الزوج جام غضبه عليها ويصرخ قائلا : ألا قيمة لى فى هذا المنزل ؟ اذا لم يجد الرجل راحته فى منزله فأين يجدها ؟ هل

أنام فى الشارع ؟ ألا تستطيعين أن تكلفى خاطرك بمداعبتهم فترة أريح فيها جسدى الذى أشقيه فى سبيلك وأولادك ؟ » وتظل الزوجة تنتظر أن يحدث شيء خارج ارادتها فيقلقه خلاف الذباب ، لأنها مسئولة عنه كذلك . ولكن شيئا من ذلك لا يحدث . فتظل تنتظر حتى يقوم من نومه ٠ ثم تنتظره وهو يتناول القهـــوه ثم يخرج فتنتظره حتى يعود الى البيت ، فيأخذ فى تناول العشـــاء وقراءة الجرائد وهى تنتظره ٠ وبهذا ينتهى يومها الرتيب لتعود فى اليوم التالى ، بل الى الأبد ، فتنتظر هذا الانتظار بعينه ٠ وقد تسعدها العطلة الأسبوعية وأيام العطلات الاخرى ، ظنا منها أنها لن تنتظر انتظار اليوم المألوف ، ولكن زوجها يطيل النوم حتى الضحى ٠ فاذا سألته : « وفى مثل هذا الوقت كل صباح تكون مستيقظا فلماذا اليوم ؟ » أجابها : « هذا بديهى ، عملى وأكل عيشى يضطرنى أن أفتح عينى ، ما الذى يضطرنى اليوم ٠ اسمه يوم أجازة ، أى أفعل فيه ما يروقنى ! » .

ففيم تتمثل مشكلة المرأة فى هذه القصة ؟ ولنطرح السؤال فى شكل آخر : لماذا فرضت المرأة على نفسها أن تنتظر ٠ ولم تثقل نفسها بمهمة الانتظار ، وهى تعلم أن الانتظار لن يغير من واقع الأمور شيئا ؟ فالزوج ســـيعود فى الميعاد المناســـب لظروفه ، وسينام وقتا يقدره بنفسه ٠ حقا ان كل انسان ينتظر الغد ، وينتظر لحظة الفراغ من العمل ، وينتظر العطلة الأسبوعية التى يريح فيها نفسه من أعباء العمل ، كما أنه ينتظر عطلته السنوية التى يبتعد فيها كلية عن أعباء الوظيفة ٠ وفوق ذلك فكل انسان ينتظر مـا يتمنى تحقيقه ، وهو يسعد بهذا الانتظار وان صاحبه القلق . ثم هو يســـعد بنتيجة هذا الانتظار ان تحققت وفق رغبته ٠ ولكن انتظار هذه المرأة ليس من نوع هذا الانتظار ، وهو لا يعنى أكثـر

من مراقبتها زوجها فى تحركاته وسكناته ، آملة أن تفوز باهتمامه ورعايته . وهى تظل تراقبه وتنتظره لأنها لا تملأ فراغ حياتها بما يصرفها عن مراقبته وانتظاره . حقا ان عليها أن تقوم بأعباء البيت والأولاد ، ولكن هذه الأعباء تزيد من متاعبها النفسية ، اذ تجعلها تشعر بأنها تدور فى حلقة مفرغة ، دون أن تحقق شيئا ايجابيا فى الحياة يرضى طموحها ، ويجعلها تشعر بأنها كيان انسانى مستقل . وليس من الضرورى أن يكون العمل الذى يملأ على المرأة حياتها ، عملا كبيرا من ناحية القيمة الاجتماعية أو العلمية ، وانما يكفى أن ترتاح لأى عمل يقع خارج نطاق عملها اليومى الرتيب ، مهما كان صغر هذا العمل . وليست مشكلة هذه المرأة كما يبدو أنها تعمل ربة بيت وحسب ، فلو كانت امرأة عاملة ، ولكن عملها لا يملأ فراغها النفسى ، بمعنى أنها تقف فى عزلة نفسية عنه ، لما تغيرت حياتها كثيرا .

وهنا نجد أنفسنا أمام طبيعتين مختلفتين تماما تعيشان تحت سقف واحد : طبيعة تنتظر لأنها لا تملك سوى الانتظار ، وطبيعة لا تنتظر لأن فكرة الانتظار لا تخالجها لحظة من ناحية ، ولأن هناك من ينتظرها من ناحية أخرى . ثم نجد طبيعة تشعر بثقل الواقع المادى الكئيب عليها ، وطبيعة أخرى تحاول أن تدخل على حياتها من التغيير ، ما يزيح عنها بعض أعباء هذا الواقع . ثم اننا نجد أخيرا طبيعة تعيش فى بؤرة من التفكير لا تتجاوزها ، وطبيعة أخرى لا تستكن فى هذه البؤرة ، وانما تتجاوزها ما وسعها ذلك . اذن فهما طبيعتان مختلفتان تماما ، ومن ثم فقد انقلبت حياتهما الآمنة الى حياة ملؤها الصراع ، وان توافرت فيها كل أسباب الراحة المادية .

وهذه المرأة التى عجزت عن أن تنتصر على الانتظار النفسى

المرير ، تأمل – كما هي دائما سمة الانسان العاجز – فى أن تكون ابنتها على غير شاكلتها • فهى تقول عن ابنتها الكبرى :« لم أضق أبدا بالتحـاقها بقسم الصحافة ، ستشارك بعد تخرجها وتعيينها فى توجيه الرأى •• ستكون من صاحبات الكلمة •• كذلك وافقت بسرور بالغ وامتنان عظيم على انضمام عبلة الى منظمة الشباب ، أسألها دائما بعد عودتها عما كان فى اجتماعاتهم •• تتحدث بثقة غريبة » •

واذا كنا نحس أن هذه الزوجة ، رغم معاناتها مشكلة الانتظار ما تزال متفائلة بحياتها ، اذ هى لا تتوق الا الى تغيير حياتها داخل نطاق أسرتها ، فان مثل هذه المرأة فى قصة نجيبة العسـال « لكى أنسى » لم تتمهل ولم تنتظر ، وانما اندفعت وراء مشاعرها بحثا عن الرجل الآخر الذى يحنو عليها ويبادلها الحب الذى حرمته من قبل زوجهـــا ، فقد كانت حياتنا الزوجية ، صورة أخرى من حياة المرأة الأولى ، فهى تعيش حياة مادية صرفا ، فضلا عن أنها حياة أمر ونهى ، ولما كانت هذه المرأة مرهفة الحس ، فقد أزعجتها هذه الحياة الخالية من كل عاطفة . ومثل هذه المرأة لا تخوض تجربتها الجديدة مع الرجل الآخر بوعى كامل ، فلا هى تحاول أن تتكشف حقيقة مشاعره ولا هى تحاول أن تتبين حقيقة شخصيته ، ؟ ؟؟ أن نظراته وحديثه معها ملؤهما الحنان والحب . وكما اندفعت الى هذه التجربة فى عجلة ، ظنا منها أن فيها حلا لمشكلتها ، فقد انسحبت منها فى عجلة كذلك خشية أن تخوض تجربة لا علم لها بنهايتها ولما ضاقت امامها السبيل لحل مشكلتها العاطفية مع زوجها ومع الرجل الآخـر ، فقد انتقمت من نفســها بأن أخذت تخبط رأسـها الفـارغ فى حائط الحمـام حتى وقعت مغشيا عليهـا . فلما أفاقت وجدت زوجهـا بجانبها متلهفا عليهـا ،

يحتضنها فى اخلاص • وكأنها لم تكن تبغى سوى هذه اللحظة التى تحس فيها بحب زوجها اياها • ولهذا فقد سلمت نفسها لمصيرها مع زوجها مرة أخرى •

فهذه المرأة نموذج آخر للمرأة الفاشلة التى تود أن تعيش فى عالم محدود صغير لا تتجاوزه • وهى بدلا من أن تعيش « مع » الحب ، لا تستطيع أن تعيش الا « فى » الحب •

واذا كانت مشكلة المرأة فى القصتين السابقتين تتمثل فى شكواها من ان الزوج يعيش حياة مادية ولا يكترث بالجانب العاطفى الانسانى فى حياته معها ، وذلك نتيجة قصوره • ان وفاءه بالجانب المادى هو واجبه الاول والأخير ، فان المرأة الثالثة فى قصتى هدى جاد تحت عنوان « صدى » ، « وبصمة على سطح الماء » ، قد وصلت الى نهاية المطاف مع زوجها ، بعد أن أغرق نفسه فى الحياة المادية وشرع فى خيانتها • فالمرأة فى قصة « صدى » تعمل صحفية وتشرف على باب الرد على رسائل الجمهور • ومعنى هذا أنها تشغل وظيفة اجتماعية أؤتمنت فيها على مصائر الناس • واذا كان هناك بعض الرسائل التى لا يكلفها الرد عليها أى عناء ، بعد أن ألفت الرد على مثل هذا النوع من الرسائل ، فان هناك رسائل أخرى تهزها وتجعلها تتريث فى الرد عليها • ومن بين هذا النوع الأخير من الرسائل رسالة جعلتها تدور فى دوامة كادت تخنقها ، اذ لم تكن هذه الرسالة تعرض سوى مشكلتها هى • وتتلخص مشكلتها كما استعرضتها فى أنها اكتشفت خيانة زوجها لها فى أثناء غيابها ولم يكن يدور بخلدها يوما أن زوجها سيخونها ، اذ كانت تتصور أنه يحبها كل الحب ويخلص لها كل الاخلاص • حتى كان ذات يوم سافرت فيه الى الريف حيث تقطن أمها مع زوجها الثانى ، لكى تستجم وتستعيد صحتها بناء على أمر الطبيب • واصطحبها الزوج الى الريف حيث اطمأن عليها ثم تركها وعاد الى مقر عمله فى

القاهرة ، وكان يسأل عنها بين الحين والحين عن طريق الخطابات . وفجأة انقطعت أخباره ، فانهالت على نفسها تأنيبا لأنها تركته بمفرده ، وربما أصابه المرض فلزم الفراش . عندئذ حملت متاعها وسافرت اليه . وتكبدت مشاق الرحلة وهى تسرع للوصول اليه فى ميعاد راحته فى البيت . حتى اذا ما وصلت الى باب العمارة ، اضطرت الى أن تصعد الى الدور الخامس على السلم لخلل فى مصعد العمارة . فصعدت السلم وهى تلهث ، لأنها فضلا عن تعبها ، كانت تحمل اليه ما لذ وطاب من خيرات الريف . حتى وجدت نفسها أمام باب الشقة . فوضعت المفتاح فى الباب وفتحته لترى أمامها ما يهولها ، فزوجها ليس مريضا وانما يخونها مع امرأة أخرى . عندئذ حملت متاعها وعادت الى أمها مرة أخرى فى الريف حيث أصر زوج أمها على طلاقها . هذه هى مشكلتها ، وهى المشكلة بعينها التى كانت تستشيرها فيها احدى النساء . فبماذا نصحتها ؟ انها لم تتردد لحظة فى أن تقول لها : « أبقى على زوجك » ولهذا الرد أكثر من دلالة تشير الى شخصية هذا النموذج النسوى ، فهو يشير الى أنها كانت مسلوبة الارادة عندما صمم زوج أمها على طلاقها كما أنه يشير الى أن الندم قتلها على سلوكها هذا ، فقد كان أفضل لها من وجهة نظرها ، أن تبقى على زوجها على علاته ، من أن تعيش بدونه .

ولم تطرق هذه المجموعة القصصية التى نحن بصددها ، مشكلة المرأة المتزوجة فحسب ، بل طرقت كذلك مشكلة الفتاة المثقفة الناضجة . فقصة احسان كمال تحت عنوان « أريد ذئبا » ، تعالج فى أسلوب ساخر قصة فتاة حائرة بين مثلها من ناحية ، وحياة التحرر التى تسلكها الفتاة المعاصرة من ناحية أخرى . فهى من بيئة محافظة فرضت عليها مثلا سامية ، وقد ارتضت هى هذه المثل لا عن كره ، وانما عن اقتناع تام بها . ولم يزعزع من هذه

المثل ، عبث الفتيات الأخريات مع الرجال من أجل أن يفزن بالزوج المطلوب • وانما زعزعتها عبارة قرأتها صدفة لكاتب مؤداها ، أن الفتاة الفاضلة ، فاضلة رغم أنفها ، لأنها لم تجد من الرجال من يطلب منها غير ذلك • عندئذ اضطربت نفسا وأخذت تصارح نفسها بتلك الحقيقة المرة • فهى حقا لم تصادف بعد الرجل الذى أحبها وأحبته ، حتى تستطيع أن تحكم على موقفها منه • وبناء عليه فهى تقنع نفســها بمثل نظرية تخــدع بها نفسها وتحرمها من فرص تقتنصها الفتيات الأخريات حتى القبيحات منهن • ولهذا فقد تاقت نفسها لأن يعجب بهــا رجل وليكن ذئبا من الذئاب الذين تسمع عنهم • وأخذت تهيء نفسها لهذا الموقف الجديد ، ولكن ما من رجل جرؤ على خوض مغامرة معها لما عرف عنها من صرامة وجد فى حين أنه ليس من الصعب أن يجد غيرها ممن يرضخن لمطلبه• حتى كان ذات يوم استقبلت فيه مكالمة تليفونية من رجل يغازلها ، وما لبث أن أدرك المتحدث أنه يتحدث فى نمرة خاطئة ، واعتذر لها كل الاعتذار ، لا لأنها أخت صديقه فحسب ، وانما لأنها فتــاة تسمو فوق كل مداعبة •

فهذه فتاة ما تزال تحمل بعض رواسب الجيل الماضى وبعض قيم الجيل الحاضر ولو أنها تحمل قيم الجيل الحاضر وحده ، لخففت من غلواء مثلها مع احتفاظها بحقها فى نقد مالا يروقها فى سلوك بنات جيلها الجديد •

وما يزال موضوع خيانة الرجل للمرأة يلح على الكاتبة هدى جاد ، فتصوره هذه المرة لا خائنا لزوجته وانما خائنا لخطيبته . ففى قصتها «غزالة هانم» تعمل أحلام مدرسة ، وتعيش مع أبيها بعد أن فقدت أمها . غير أن غزالة هانم السيدة التركية الثرية العانس تلقفتها وحنت عليها وكانت تود لو عاشت أحلام معها فى كنفها ، ثم تمت خطبة أحلام من شاب ، وسعدت لهذه الخطبة

التى وضعت حدا لنوازعها المشتتة . ولكن رسالة مجهولة وصلتها أنبأتها بأن خطيبها زير للنساء • فقطعت صلتها على التو بخطيبها ولجأت الى غزالة هانم تلتمس النصيحة . ففتحت لها غزالة هانم ذراعيها وضمتها الى صدرها فلما عرفت نبأ انقطاعها عن خطيبها ، أخذت تغريها بأن تعيش معها وأن توصى لها بكل ثروتها على شرط الا تتزوج . فاستكانت أحلام لها وأنهت حياتها العاطفية .

وفى العموم فان صورة الفتاة التى لم تتزوج بعد فى هـذه القصص تبدو مهتزة الى حد كبير ، اذ أن الفتاة تنقصها الارادة والبصيرة فى تقرير مصيرها . ولهذا فسرعان ما تستسلم لليأس اذا ما انتابها الفشل • ولا نستثنى من هذه القصص سوى قصـة نجيبة العسال تحت عنوان « وانتصر الحب » وقصتها « بعد طول انتظار » • فالقصة الأولى تصور فتاة انتشلت ابن خالتهـا من هاوية الفشل ، بعد قصة حب مثيرة بينه وبين احدى صديقاتها • وكانت ابنة الخالة تتوقع هذا الفشل يوما بعد يوم • ولهذا فقـد أعدت نفسها لكى تكون فى عونه قبل أن يسحقه اليأس من حبه الأول • وأفاق ابن الخالة على هـذا الحب الكبير الذى منحته اياه ابنة خالته ، واستصغر نفسه لوقوعه من قبل فى براثن فريسة حب صغير •

وأما قصة « بعد طول انتظار » فتصور فتاة سوية ، ذات ارادة مكتملة • قد سبرت غور نفسها ، وعرفت رغبتها ، وأعلنتها صريحة لنفسها بأنها لن تتزوج الا من رجل كامل الرجولة والشخصية • وانسان تحبه فى الوقت نفسه • فطالما قابلت الرجل الذى أعجبت بعقله وطريقة تفكيره ، ولكن شيئا ما كان يحول بينها وبينـه ، ويجعلها تعزف أن تكون زوجة له • وطالما قابلت الرجل الوسـيم الظريف الذى تتهافت عليه سائر الفتيات ، ولكنها هى لا تعجب بشخصيته وعقليته • ومن ثم فقد أصرت على انتظار الشـخص

الذى تتفق صورته مع مثلها ، غير عابئة بالحاح أمها عليهـــــا فى الزواج ، وغير مكترثة بما تسمعه يوما بعد يوم من أخبار زواج صديقاتها . وبعد طول انتظار لم يخب ظن الفتاة فى نفسها اذ أنها عثرت على ضالتها التى سكنت اليهاوسعدت بها .

واذا كانت القصص السابقة قد قدمت نماذج للمرأة المتزوجة وموقفها من الرجل ، كما عرضت صورا للفتاة المثقفة وموقفهـــا من رجل المستقبل ، فهناك ما تزال بعض القصص التى تجمع بين المرأة والفتاة ، أى بين الأم وابنتها . فقصتا نجيبة العسال « لم يكن حبا » و « ثم غربت الشمس » ، تصوران سلوك الأم الشاذ ازاء زوجها وبيتها ، وموقف الابنة المراهقة أو التى تجاوزت ســـن المراهقة بقليل من هذا السلوك . وفى كلتا القصتين تبدو الأم قوية ، تنبض بالحياة ، فى حين يبدو الرجل ضعيفا جامدا . ففى قصة « لم يكن حبا » ، نجد الزوجة تفيض بالحيوية وتشيع البهجة فيمن حولها ، وهى تحب الضحك والصخب ولا تحب الســـــكون والدعة . وكان زوجها على طرف النقيض منها ، واختلف معهـــا فى زيارة صديقاتها لها ، لما يحدثنه من صخب فى البيت ، ولم تنازعه الزوجة رغبته فى عدم اجتماعها بصديقاتها فى بيتها ، ولكنهـــا عارضته فيما طلبه اليها من أن تقطع صلتها بهن . ولهذا فقـــد شرعت فى مقابلتهن خارج البيت وقضاء فترات طويلة معهن . بل انها كثيرا ما كانت تعتذر عن حضور الغداء لدعوة احداهن اياهـــا بتناول الغداء معها . ومما شجع الأم على هذا السلوك أن ابنها وابنتها كانا قد كبرا واستقلا عنها فى سلوكهما : فالابن كان يدرس فى الخارج ، كما كانت الابنة طالبة بالجامعة . وطالما جلستالابنة مع أبيها الجامد الساكن وحدها دون أن يبادلها أى نوع من الحديث .. وربما دفعها جموده هذا لأن تبرر للأم تصرفاتها . بل انهـــا فى قرارة نفسها كانت تنفس على الأم جراتها وحيويتها وتفاؤلها ،

وهى الصفات التى كانت تفتقر اليها تماما . وهكذا بدأت تتنازع الابنة عواطف شتى ، بين عدم رضائها عن الاب واعجابها الدفين بالأم ، وان لم تعفها من مسئوليتها نحوها . وفى هذه الدوامة الذى ظلت تعيش فيها عدة سنين ، نسيت الابنة واجبها نحو نفسها ، أى نحو ثقافتها وشخصيتها . وكان كل همها أن تستريح الى رجل ينتشلها من هذه الاسرة المتنازعة . وكان اختيارها لشاب يتفق مع أمها فى حيويته واعجاب الناس به . ولما كانت الفتاة تفتقر تماما الى الشخصية اليقظة المتكاملة التى تدفعها الى أن تتريث فى حكمها على الرجال ، فقد اندفعت لأول وهلة ، مع تيار هذا الشاب حتى ملك عليها نفسها . ولكن هذا الشاب لم يكن سوى نموذج من الشباب الذى يطير كالنحلة من زهرة الى زهرة . وقد كان يجد لحسن حظه دائما الفتيات اللاتى يقبلن نحـوه فى اعجاب . ولهذا سرعـان ما ترك تلك الفتـاة وراح يصـادق غـيرها . ومع ذلك فقد كانت الفتاة تحاول فى يأسها أن تجذبه اليها ،ولكنه لم يكترث بها أدنى اكتراث فعادت الى بيتها وهى تنظر الى أبيهـا الجامد تارة ، والى الأم المرحة الواثقة بنفسها كل الثقة تارة أخرى وأما هى فلم تكن تشعر الا بالضياع .

وأما الفتاة فى قصة «ثم غربت الشمس» ، فهى فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، تمقت أمها كل المقت ، لا لأنها تعمل على كبت مشاعرها خوفا من أن تنساق وراء عواطفها فحسب ، ولكن لأنها امرأة ناكرة لجميل أبيها . فقد كان أبوها رجلا مرموقا مجدا ، هيأ لأسرته الحياة الرغدة بفضل جده وكده . وكانت الام تصغره كثيرا فلما كبر الأب ، واتخذت صنوف الامراض طريقها اليه ، ضاقت الام الشابة الجميلة به ذرعا ، بل انها كانت تتمنى فى قرارة نفسها أن يخلصها الموت منه . أما الابنة الشابة فكانت قريبة كل القرب من أبيها ، وكأنها شاءت أن تعوضه قسوة الام الناكرة للجميل .

ولم تكن الابنة قد أعلنت تمردها على أمها بعد ، ولكن نظراتها اليها كانت تحمل كل معانى التمرد فى المستقبل ٠

واذا حاولنا الآن أن نستعرض هذه النماذج المتنوعة للمرأة المصرية والفتاة المصرية ، كما صورتها هذه القصص ، فاننا نجدها جميعا على وجه التقريب تتفق فى تصوير المرأة الفاشلة فى حياتها الزوجية ، والفتاة غير المستقرة فى عواطفها ، وغير المكتملة فى ارادتها . ويحق لنا أن نتساءل بعد ذلك : من المسئول عن فشل المرأة بوجه عام فى حياتها مع الرجل؟أهو الرجل نفسه ، أم المجتمع الذى ما زال ينظر للمرأة نظرة مغايرة لنظرته للرجل ؟ أم أن المرأة نفسها هى المسئولة الوحيدة عن فشلها ؟ ما من شك فى أن الرجل فى بيئتنا ، ما زال يرغب فى أن تكون المرأة محققة لمثال بعينه ، وهو مثال ترسب فى نفسه عبر الاجيال ٠ فهو يرتاح كل الارتياح لأن تكون زوجته امرأة مستقرة نفسيا ، وأن تضع رغباته فى الصف الأول من اهتماماتها ٠ ولا يضير الرجل أن تكون المرأة عاملة ، ما دامت تلبى احتياجاته بطريقة ترضيه تماما . فاذا تجاوز طموح المرأة حدود ذلك ، فان الرجل لن يكون راضى النفس ، وسرعان ما يدب الصراع بينهما ٠ واما أن ينتصر الرجل أو تنتصر المرأة وغالبا ما ينتصر الرجل ، اذ أن المرأة تنزع تحت ضغط ظروف كثيرة الى الاستسلام ٠ أما اذا انتصرت المرأة ، فان هذا يكون بفضل دأبها وشخصيتها المتكاملة وطموحها وسياستها اللبقة ٠ واذا استطاعت المرأة بعد ذلك أن تبرهن للرجل أن نجاحها لم يؤثر على جانب من جوانب حياته ، بل انه أضفى على حياتهما الاشراق والتفاؤل ، فلا يسع الرجل بعد ذلك سوى أن يكف عن صراعه الدائب معها ٠ ومعنى هذا أن الرجل وان كان مسئولا عن فشل المرأة بعض المسئولية ، وان كان المجتمع ما زال ينظر للمرأة نظرة ترسب فيها كثير من مخلفات الماضى ، فان المرأة ما تزال هى

المسئولة عن مصيرها وعن فشلها . وليس معنى هذا اننا نطالب المرأة أن تشهر السلاح فى وجه الرجل ، بل اننا نطلب منها على العكس أن تكون حياتها تحقيقا لقوله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها » .

وهذا لا يمكن أن يتحقق مع نفسها الثائرة المضطربة ، ومع نظرتها لزوجها نظرة ملؤها الحقد والرغبة فى الانتقام من أفعاله . وانما يتحقق مع احساسها بالنجاح فى حياتها الكاملة . ونجـــاح المرأة فى حياتها وتصالحها مع نفسها ، ورضاؤهـــا عنها ، يهيىء بالتالى فرصة النجاح لأبنائها ، ويساعدهم على تكوين شخصيتهم المتماسكة ، فنجاح المرأة اذن يؤدى الى نجاح أسرتها ، كما أن افتقادها لوسائل النجاح يؤدى الى فشلها وقد يؤدى الى فشل من يعاشرها .

وربما خيل للقارىء أن هذه الدراسة المسهبة لموضوعات هذه القصص ، قد ابتعدت به كل البعد عن فن كتابة القصة القصـــيرة عند هؤلاء الكاتبات . ولكننا فى الحقيقة لم نبتعد عن فنهن كثيرا . فقد رأينا مدى معايشتهن لحياة المرأة ، فقدمن لقطات حية من حياتها ومن صراعها النفسى . وهذا هو الأدب الذى يهدف أولا وقبل كل شىء الى نقد الحياة ، عن طريق ابراز مافيها من نماذج مرضية سقيمة .

فاذا شئنا بعد ذلك أن نقـوم فن كل كاتبة على حدة ، فاننا نرى أن احسان كمال ماهرة فى التقـاط المواقف النفسية المشبعة بالصراع ، كما أنها ماهرة بحق فى عرضها عرضا فكاهيا ممتعا . وهذا الاسلوب الفكاهى يكسب العرض رشاقة من ناحية ، كما أنه يمزج الصراع بالسخرية مما يجعلنا نعيش المشكلة فى شىء من الهدوء النفسى . ويتضح هذا الاسلوب بصفة خاصة فى قصصها «الانتظار»

و «أريد ذئبا » و «سطر مغلوط» • ومن خواص أسلوب احسان كمال كذلك ، أنها تحكى قصصها دائما ، أو على الأقل ما قرأته لها، بأسلوب المتكلم . ومن خواص هذا الأسلوب أنه يشعرنا بأن الكاتب لا يعيش على بعد من التجربة ، وانما يعيشها بنفسه • ولعل هذا يساعد على ابراز عنصر الصراع فى الموقف النفسى ابرازا مباشرا ، فضلا عن أنه يضفى على القصة مزيدا من الحيوية •

أما هدى جاد ، فيكاد يلح عليها موضوع واحد فى قصصها هذه هو موضوع الخيانة • فقصة «صدى» تصور خيانة زوجية حدثت لكل من الصحفية وصاحبة الرسالة • وفى قصة « بصمة على سطح الماء » يحاول زوج صديقة البطلة أن يخون زوجته معها • حتى فى قصة عيوشة ، خانت الخادمة سيدتها الكريمة بأن سرقت الشىء الكثير من مطبخها • وكذلك خانت المرأة العامل فى قصة صفيح الأفران فى الوقت الذى امتدت يده الى السرقة لكى يقدم لها المهر والشبكة المطلوبين • وهكذا نحس أن هذا الموضوع يشغلها الى درجة أنها على الأقل لا تتجاوزه فى قصتها هذه • ويا حبذا لو نوعت لقطاتها وعمقت عنصر الصراع فيها •

أما عن فن نجيبة العسال ، فهو يتميز بتنوع اللقطات واختيار مشكلات جوهرية فى حياة المرأة والفتاة معا • فكل قصة من قصصها تمثل مشكلة مستقلة • على أن مايسترعى النظر فى فن كتابتها هو خاتمة قصصها • ويكاد يخيل الى فى بعض الاحيان أنها لا توفق فى اختيار اللحظة التى تنهى فيها القصة ، بحيث تترك الصراع ممتدا لدى بطلة القصة وقارئها معا • ويتضح هذا تماما فى قصة « لم يكن حبا» . فقد خيل الى أن القصة قد انتهت عند لحظة افاقة الفتاة الضائعة لتجد نفسها بين احضان والديها المتناقضين • ويكفى أن يكون هذا المشهد خاتمة للقصة ، اذ أنه يوحى بامتداد حياتهـــا

الضائعة ، ما دامت تعيش فى كنف طرفين متناقضين • ولكن الكاتبة تمتد بعد ذلك بالقصة ، فتروى لنا ، وكأنها تبدأ من جديد ، كيف أن صور الماضى أخذت تمر أمام الفتاة بعد أن أفاقت من غشيتها ، وهو الامر الذى أشارت اليه فى موضعه من قبل • واسلوب نجيبة العسال يتنوع بين رواية القصة بضمير المتكلم وروايتهـــا بضمير الغائب • وكلا الأسلوبين له قيمته الفنية مافى ذلك شك على أن يستعمل كل أسلوب فى الموقف المناسب له • وقد شعرت وأنا أقرأ قصة « ثم غربت الشمس » ، وهى من قصص الكاتبة الجيدة ، أنه كان ينبغى عليها أن تروى القصة بضمير المتكلم ، هو لسان الابنة الشابة • ولو فعلت هذا لعشنا صراع الفتاة مع نفسها ومع أمهـــا معايشة صادقة جلية ، ولكن الكاتبة اكتفت بأن روت لنا أن نظرات الابنة الى أمها كانت تكشف عن معان كثيرة •

وعلى كل ، فهذه الاشارات النقدية لن تقلل من قيمـــة هذه المجموعة القصصية فى شىء • والكاتب الذى يدأب على الـــكتابة ليوازن بنفسه بين فنه فى مراحله المختلفة ، حتى يكسبه على الدوام مزيدا من النضج والاتقان الفنى ، جدير بأن يصل الى مســـتوى الاصالة الكاملة فى كتابة القصة • وهذا ما تصبو اليه هؤلاء الكاتبات وهذا ما أتوقعه لهن •

د • نبيلة ابراهيم



إحسان كمال

● صــــدرت مجموعتها القصصية الأولى عام ١٩٦٥ بعنوان ((سجن أملكه))

● فازت فى مسابقات نادى القصـــة عام ١٩٥٧ بقصة بعنوان ((عم شلبى)) .

وعــام ١٩٦٠ بقصة « سجن أملكه » كما حصلت هذه المجموعة على كأس القبانى لعام ١٩٦٥ .

● أختيرت مجموعتها ((سجن أملكه)) ضمن مجموعة قصص أصدرتها جامعـــة كاليفورنيا مترجمة عن العربية .

● تقرأ كثيراً وتفضــل الأدب الروسى والأدب الفرنسى .



انتظـــار

ما زلت أنتظر .. أنتظر وأنتظر وأنتظر .. يخيل الى اننى خلقت فى هذه الدنيا خصيصا كى أنتظر .. حياتى كلها ضاعت فى الانتظار ..

منذ صغرى كنت أنتظر .. أن يفرغ لى أحد اخوتى يوما كى يصحبنى الى السينما أما شراء لوازمى فلم يكن لأى منهم صبر على اللف .. ولم أكن أستطيع الشراء من أول محـــل فكنت أنتظر .. أن تحضر لزيارتنا احدى بنات أعمامى أو خـــالاتى المتزوجات . فربما كانت احداهن تريد شراء شىء لتصحبنى .. تحضر لتأخذنى ثم تعيدنى الى المنزل .. كان محظـــورا على الخروج وحدى .. يبـــدو أنهم كانوا ينظرون الى كما لو كنت شنطة لا تستطيع أن تسير وحدها .. لابد أن تنتظر شخصـــا يحملهـــا ..

وعـــدت أنتـظر .. ابن الحـــلال .. وماذا لو لم أتزوج ؟ كارثة .. حمداً لله .. لم تحدث الكارثة .. وظللت أنتظـــر ..

عودة زوجي من عمله الذى يكاد يستغرق كل يومه .. وأفرح بعودته .. كنت أضيق بالوحدة والصمت .. فيأكل وينام وأعود أنتظر .. حتى يستيقظ .. كانت هـذه الفترة أقسى أنواع الانتظار .. وقد جربتها جميعا ، لكأننى كنت اجلس على نار .. تعلمت منها .. أنا التى لم أدخل مدارس قط .. أصعب النظريات العلمية « النسبية » . كانت الساعتان اللتان ينامهما زوجي بعد الغداء تمران على كعامين .. فى كل خناقة انتهت بها فترة قيلولته كان يقسم لى أننى أكره راحتـه .. وأن الضيق يبدو على وجهى واضحا بمجرد أن يبدى رغبته في النـوم .. التهمة الأخيرة صحيحة .. بيد أن سببها لم يكن كرهى لراحته.. وانما لعكننتى .. نومه خفيف جدا .. يوقظه دبيب النمـلة فكيف بثلاثة شياطين لا يكفون عن الصخب .. ؟ وأقع بين المطرقة والسندان .. رجل يريد أن ينام .. واطفال كل منهم فى حنجرته ميكروفون .. بل سـلاح لا يعرفون بحكم سنهم متى يضغطون بأصابعهم على زناده .. ويفعلون وتنطلق القذائف .. الى كبريائى وكرامتى وراحة بالى .. لسـبب ما تصرخ واحدة منهن وسرعان ما يثور الأب .. على أنا ..

ــ ألا قيمة لى فى هذا المنزل ؟ اذا لم يجد الرجل راحتـه فى منزله فأين يجدها ؟ هل أنام فى الشارع ؟ ألا تسـتطيعين ان تكلفى خاطرك بمداعبتهم فترة أريح فيها جسدى الذى أشقيه فى سبيلك وأولادك .. ؟

أكلف خاطرى كثيرا وألاطفهم .. واشـتغل صـانعة لعب وقاصة حواديت وبهلوانة وحاوية ، واظل أرجو واهدد واعد .. وقد أفلح بعض الوقت وانتظر أن يستيقظ من تلقاء نفسه ولكنه لا يفعل .. وأدعو الله ان يحدث أى شىء خارجى يقلقـه .. « كاوتش » يفرقع أمام المنزل . خلاف على البقشيش يقع بين

سواس الجراج أســـفل شقتنا .. أى شىء عـدا الذباب .. فأنا مسئولة عنه أيضا .. مثل الأولاد ..

المفروض — فى رأيه — بمجرد أن أرى النوم يداعب جفونه أن أغطيه جيدا .. ثم أغلق الشيش وأتبعه برش بعض الفليت.. حمدا لله أنه ثقيـــل الوزن والا لنام جالسا متوقعا أن أحمله الى فراشه .. ينظرون الى المرأة — أو على الأقل عبد الفتاح — على أنها مخلوق أقل ، وجد خصيصا لخدمة الرجل ومتعته .. ينطق كلمة (الرجل) عندما ينبهنى الى حقوق هذا الأخير فى منزله — بتفخيم وثقل فى الوزن .. المهم أننى أظل أنتظر أى ضجة بالشارع ولكن انتظارى يضيع عبثا .. الســـيارات تسير بهدوء والسواس يصابون بالوئام التام .. وفجأة تخطف احدى أطفالى لعبـــة أختها فتصرخ الأخيرة أو تضربها فتكون الأولى هى الصارخة .. واحدة رسمت رسما جميلا أو قامت بحركة خيل لها انها رائعة فتصيح فرحة بأعلى صوتها لتلفت نظرى برغم أننى لا أبعد عنها بخطوة .. احداهن داست على قدم الأخرى فترد بشد شعرها وقبل أن أتنبه تتعالى الصرخات .. يحدث ذلك فى ثانية أو بضع ثوان لا تكفى حتى لأفهم الموضوع فكيف باسكاتهم ؟ وأفعل ولكن بعد طيران النوم الذى هو ميزان العقل كما يقول .. وأحاول افهامه فلا يقتنع ويمضى فى هديره .

يسكت أخيرا لسبب واحد .. ميعاد القهوة .. وينـــام الأطفال ولا أجد ما أفعله سوى الجلوس في « الصالة » أنتظـــر زوجى وعينى مثبتة على عقربى الساعة .. التى يخيل الى أننى نظرت اليها أكثر مما نظرت فى وجوه أطفالى .. انه يتأخـــــر أحيانا .. ولكنه فى أيام أخرى يحضر مبـــكرا .. ربمـــا حلت الجلسة فى القهوة .. يقود سيارته بجنون .. لطفك يا رب .. أعده لنا بالسلامة .. هو بعد .. اذا لم تثر عصبيته أية مخالفة

لأوامره ــ رجل الأسرة الحنون المتفانى .. يعبــد بناته وهن يبادلنه العبادة ..

وأتنهد أخيرا وأنا أسمع صوت المفتاح فى القفل .. بعــد العشاء يمســك جريدته ليقرأ كل حرف فيها .. ولا أبدى ضيقى وأنتظر أن يفرغ منها حتى يحدثنى ولو لبعض من الســاعة .. ربما كان معذورا فى هذا الوقت الصغير الذى يعطيه لى .. لاأجيد الحديث يمنعنى جهلى بالقراءة من متابعة أحداث الدنيا من حولى.. الغريب أن هذه الفترة ــ الوحيدة التى كنت أستمتع بها فى حياتى ــ كانت تمر سريعا .. لا يمكن أن تكون سرعة دوران الساعة واحدة طوال اليوم ..

لم يكن الأمر ليتغير كثيرا يوم الجمعة .. ينام فترة الضحى بأكملها .. كثير على أن تتوتر أعصابى مرتين فى اليوم .. عمدت الى مناقشته : ــ

ــ فى مثل هذا الوقت كل صباح تكون مستيقظا فلمــاذا اليــــوم ؟

ــ هذا بديهى .. عمـــلى واكل عيشى يضطرنى أن افتح عينى .. ما الذى يضطرنى اليوم ؟ اسمه يوم الاجازة .. أى أفعل فيه ما يروقنى .

ــ وهناك عشرات الأشياء تستطيع أن تفعلها غير النوم .

ــ ولكن فيه راحتى .. وهى أحب الى من كل هذه الأشياء .

ــ كذلك تستكثر أو تعدها خسارة أن تجلس معنا .. لاتتصور المنزل سوى سرير .. ويبدو عليه الاستنكار ــ وما الغريب فى ذلك .. المنزل جعل أولا وأخيرا للراحة ..

وواجب الزوجة أن توفرها لزوجها .

ـ اذن فلنخرج قليلا يوم العطلة .. جميع الناس يفعلون هـــذا ..

ـ لا شأن لى بأحد .. أخرج كل يوم وارهق أعصابى كل يـوم .. وأريد في يـــوم أجازتى أن أتحرر من كافة الالتزامات والمسئوليات .

أظل أنتظر حتى ينتهى يوم الأجازة .. لأعود وأنتظر بفارغ الصبر عودته .. شـــــقاوة الأطفال وصخبهم تكاد تصـيبنى بالجنون .. تقل كثيرا في وجوده .. علمهم وعودهم ـ واشتركت أنا معه فى هذا الخطأ ـ ألا يخافوا أو يعملوا حسابا لسواه .. تغيير المتاعب ـ بما فيها مضايقات الانتظار ـ يمنح الانســـان القدرة على تحملها ..

حتى الخادمة .. أبت الا ان تساهم من جانبها فى زيادة مرات انتظارى .. لم تعد يوما من أجازتها فى الموعد المحــدد ، وأظـــل أنتظرها وأغـير فى ترتيبـــات اليــــوم وما أكثر الحجج والتعللات .. مرض الأم وسفر الأب وحضور اقارب وطهـــور أشقاء .. ما من مرة خرجت لشراء شيء الا استغرقت ضعف الوقت المفروض مهما أوصيتها بأنى من أمرى فى عجلة .. كثير من أعمالى تتعطل فى انتظارى لها .. هل كانت تسخر منى وهى تتساءل .. من أين لى أن أعرف ما يستغرقه المشوار والشراء وانا نادرا ما أخرج .. أم كانت على حق ؟

لم يكن فى استطاعة زوجى أن يتركنى عنــــدما يسافر الى المصيف .. فكان « يحملنى » معه لأجلس تحت الشمسية .. انتظر عودته هو والبنات والشغالة ، الجميع ينزلون البحر .. عبد الفتاح بعيدا مع أصدقائه والخادمة مع البنات « يبلبطون » قريبا من الشاطىء .. أحيانا يطول الانتظار ولكنى لم أكن أملك

سواه .. لا أملك حتى أن اقوم لأطمئن على الأطفال .. مع من أترك الصفيرة والشمسية والكراسى وملابس الجميع وساعاتهم .. كانت المرارة تملأ فمى . الخادمة تستمتع خيرا منى .. فكرت مرة فى ابقائها بجوارى حتى أستطيع التمشى قليلا أو كى أرسـلها لتسعفنى فى أى طلب ولكن زوجى رفض .

ـ ألا تخشين أن يسحب البحر بناتك .. أم تتوقعين أن أظل انا قرب الشاطىء أحرسهما وأحرم نفسى رياضتى ؟

كما رفضت البنت أيضا .. لا أنزل البحر ؟ لمـاذا اذن حضرت الى المصيف ؟ ظلت الأمور كما هى .. أحرم نفسى أنا .. كل شىء .. عدا الانتظار .. انتظار انتهاء المصيف والعودة لأنواع أخرى من الانتظار فى القاهرة .

وتكبر البنات فيزيد الانتظار .. أنتظر عودتهن من المدرسة ـ وكثيرا ما تأخرن عن مواعيدهن لأسباب شتى والقلق والانشغال يضغط قلبى ـ ثم أنتظر انتهاءهن من لعبهن كى يذاكرن .. لأنتظر انتهاءهن من عمل الواجب .. حتى أنام ..

ما زلت الى اليوم أمارس مهمتى الوحيدة فى الحيـاة .. أنتظر .. اجلس فى الشرفة منذ ساعة أنتظر .. ولكن انتظارى اليوم له طعم آخر غير الطعم الذى تعودت تجرعه .. رغم أنهما قد تتأخران كثيرا .. هدى وعبلة .. فات موعد عبلة ولكنها نادرا ما تعود فى الموعد الذى تحدده .. أما هدى فكانت أبعد نظرا .. لم تحدد يوما موعدا لعودتها تتمرن فى جـريدة كبرى وليس للصحافة مواقيت تنتهى عندها .

لم أضق أبدا بالتحاقها بقسم الصحافة .. ستشارك بعد تخرجهـا وعملهـا فى توجيه الرأى .. سـتكون من صاحبات الكلمة .. كذلك وافقت بسرور بالغ وامتنان عظيم على انضمام

عبلة الى منظمة الشباب .. أسألها دائما بعد عودتها عما كان فى اجتماعاتهم .. تتحدث بثقة غريبة .. ما زالت فتاة صغيرة لم تكمل تعليمها الثانوى بعد وتشارك من الآن مهما صغر دورها فى تخطيط سياسة بلدها ورسم مستقبل أفضل له .. لم أشارك انا أبدا حتى فى رسم أو تخطيط مستقبلى الخاص ! .

ولكنى لست آسفة .. اذا لم أكن شاركت فى العمل لرفعة بلدى فقد قدمت من ستفعلن .. أنظر بأمل كبير .. ليس لمستقبل بناتى فحسب .. ولكن لمستقبل البلد كله .. من يسير على ساقين يتقدم أسرع بكثير ممن يسير على ساق واحدة ويجر الثانية المشلولة ..

قطعت ليلى ـ اصغر بناتى ـ حبل تفكيرى ..

ـ متى تعود هدى أو عبلة ؟

ـ اننى انتظرهما ولكن لست أدرى متى تعودان .. ليس لهما مواعيد كما تعلمين ..

ـ كنت أود الخروج ولكنى مضطرة أن انتظرهما .. معك، فى واجب اليوم بعض أشياء أريد أن أسأل احداهما فيها ..

هتفت فجأة كمن تذكرت شيئا :

ـ ألا تستطيعين معاونتى يا ماما .. ما معنى هذه الكلمة « مرارة الانتظار » اننى لا أعرفها ..

رفت على شفتى ابتسامة رائقة :

ـ ولن تعرفيها ..

أريد ذئبـــــا

اننى أبحث عن ذئب ، أبحث عنه فى كل مكان ·· أريد ذئبـا بأى ثمن ·· هل منكم من يعـرف ذئبـا فيدله على مكانى ·· أو حتى يدلنى أنا على مكانه .. ذئب .. ذئب يا عالم .. ذئب يا هوه .. ذئب يا ناس .. ذئب يا مسلمين .. هل فرغوا .. انقرضوا ؟ ·· غير معقول ولكن هل هذا هو المعقول ·· هل سمع احد من قبل بهذا .. ؟ فريسة تبحث بنفسها عن ذئب شـاة تنقب جاهدة عن قصاب ؟

لكنه هو السبب .. لعنة الله عليه ، من هـو ؟ .. اننى لا أذكر اسمه .. ربما بلغته كلماتى .. ترى هـل يغضب أم يزهو ؟ .. هل يغضب من سيل اللعنات التى أصبها على رأسه .. أم يزهو لأن كلمة صغيرة منه قد غيرت تفكيرى وقلبت تصرفاتى راسا على عقب ..

منذ شهور كنت أهرب كلما شككت في وجود ذئب أو شبه ذئب بجوارى ، كنت فريسة حذرة .. شديدة الحذر .. أشم

رائحة الخطر على بعد أميال فأسارع بالتنحى عن طريقه والفرار منه ، وكانت صديقاتى وزميلاتى يحكين حكايات طويلة عن ذئاب قابلوهم ومغامرات لهن وقعت معهم .. كل الزميلات بلا استثناء .. كل فتاة فى سننا لا بد تبحث عما يملأ فراغ حياتها .. حتى الجـادات منا ·· اللواتى لا يردن العبث يبحثن عن عرسـان ·· ولم تتخلف زميلة عن البحث فى ناحية من الاثنين .. وفى كل من الطريقين قابلن ذئابا .. كل واحدة قابلت ذئبـا أو اثنين .. وأحيانا نصف دستة .. وتتنوع الحكايات حسب قوة أو ضعف كل فريسـة ·· منهن من استطاعت أن تزجر الذئب بمجرد أن رأت أظافره تنبت أو أنيابه تطول وبدأ يتحول من شاب مهذب الى .. ذئب ، ومنهن من بدأت الذئاب تنشب فيهن أظـافرها فعلا فتنبهن وسارعن بالفرار قبل أن تصل الأظافر الى أجسامهن، فخرجن من المعركة بقطع صغيرة فى الثوب ولكن بلا جروح .. ومنهن من تأخرن فلم يسلمن من الجراح .. جرح فى القلب أو فى الكرامة أو فى السمعة . وكنت أستمع اليهن بتعـال ساخر .. كنت الوحيدة التى ترفض أن تستمع الى كلمة اعجاب أو غزل.. ولو لم يكن يبدو أن صاحبها يزمع أن يتدرج الى ذئب حتى أنه عندما أجمعت الفتيات على لوم زميلة بدا لهن أنها توسعت أكثر من اللازم وضاقت الزميلة باللوم فصاحت فيهن متحدية .. (من كانت منكن بلا خطيئة فلترمنى بحجر) ـ لم أشعر الا وأنا أقول لها «من حسن حظك ان الحجارة ليست فى متناول يدى» · يومها وجمت الزميلات جميعا وتهكمت على أحداهن ..

ـ أنا متصورة انك لابد تشعرين بالضيق والملل من حياتك الفارغة تلك .. وستظلين هكذا حتى يأتيك ابن الحلال عن طريق أسرتك كأيام جدتى عليهـا رحمة الله دون أن تحسى بالقلق والاطمئنان ·· باليأس والأمل ·· بالسـخط والرضى ·· بالألم

والسعادة .. بالخوف والراحة .. بالترقب والانتظار واللهفة .. ثم الفرحة .. دون أن تحسي بالحب .

كنت أعلم أن هذه المشاعر المتضاربة التى يملأن حياتهـن بها تملأهن كذلك بالسعادة .. ولكنى أنا أيضا كانت عنـدى سعادتى الخاصة .. عائلتى محافظة جدا .. شديدة التدين ، تأتى الاستقامة والسمعة الحسنة فى الترتيب الأول من اعتبارها.. وبحكم البيئة كانت هذه نفس نظرتى .. فكلما رأيت زميلاتى بهذا التحرر ازدهانى الفخر بنفسى وبتاج الفضيلة الذى أضعه على رأسى .. وكنت بتلك الفضيلة جد راضية .. جد مقتنعة .. جد سعيدة .. حتى قرأت كلمة هذا السخيف .. الا لعنة الله عليه مرة أخرى ..

ما الذى دعاه لكتابتها .. ؟ انه يعتبر نفسه حكيما ويروح يكتب الحكم والكلمات المأثورة (من قال له اننا نريد حكمه .. وماذا سيستفيد الناس من كلماته المأثورة تلك ؟ أنا مثلا .. ماذا استفدت منها سوى دوشة دماغى وتبخر رضائى وبلبلة أفكارى وبحثى هذا العقيم عن ذنب . كل هذا لكى يبدو حضرته أمـام الناس فيلسوفا ينطق لسانه الدرر ويخط قلمه الحكم .. أف .. لعنة الله عليه مرة ثالثة .. هذا الى أنها لم تكن حكمـة بالمعنى المفهوم .. اننى لا أذكر ماذا قال بالنص .. ولكنه قال على وجه التقريب (ربما أصبحت فتاة فاضلة لأن أحدا لم يطلب منها أن تفعل ما ينافى ذلك) .. هيه .. ماذا يقول .. فاضلة رغـم أنفها .. فضيلة ماركة قصر ذيل .. ما أسخفه .. ولكن هـل هذا معقول .. هل أنا مثلا فاضلة على طريقة مكرهة أختكـم لا بطلة .. كلا طبعا .. بل كان هـذا رأيى .. وتلك أفكارى ومبادئى . ومنذ اكتملت أنوثتى وأنا أسير على هـذا الطريق .. وها هو ذا خطيبى فى الخارج منذ عام وأنا مثال للوفاء له والاخلاص

لعهوده ولا أحد يستطيع أن يزعم أنني - حتى - اشتركت معه فى مزاح زائد او دعابة جريئة أو ابتسمت له ابتسامة واسعة ..

أخذت أردد كل ذلك لنفسى بسرعة محـاولة أن أطغى على صـوت صغير فى داخلى كان يريد أن يقول شيئا ٠٠ ولكنه رغم محاولات استطاع أن يقوله .. أن يسألنى .. هل طلب أحـد منك أن تفعلى شيئا .. ؟ هيه .. آ .. بدون شك ولكنى لابد لقنته درسا .. تريدنى أن أذكر لك مثلا .. لا بأس .. فقط انتظر حتى أتذكر .. آه .. هيه .. أوه لا تستعجلنى .. وهل عقلى دفتر .. دعنى أتذكر بهدوء .. آه .. آه .. كلا .. آه .. هيه يا للهول .. لا أحد .. لا أحد قط ؟ منذ بلغت الثالثة عشرة وحتى اليوم ٠٠ احدى عشرة سنة لم يتعرض لى فيها ذئب واحد ٠٠ هل أنا دميمة .. شوهاء .. اذن لماذا لم يحاول ذئب من الذئاب الكثيرة المنتشرة أن يصب فى أذنى معسول كلامه لينشب بعدها أظافره .. قالت لى مرآتى اننى لست دميمة بل جميـلة .. وتركتها الى مرآة أخرى أيدت كلام زميلتها وثالثة توسلت اليها أن تقول الحقيقة فأقسمت لى على ذلك وسـألتنى بدورها (أصحيح أنك لست واثقة من نفسك ؟) أنا أعلم مسـتواى جيدا .. بل كل حواء تعرف بينها وبين نفسها مقدارها تماما . وأمام الناس يختل الميزان عندما يتدخل الغرور أو التواضـع حسب طبع كل منا .. كان خجلى يدفعنى الى انكار وجود هذا الجمال اذا جاءت مناسبة أمام الزميلات ، أما والأمر الآن بينى وبين نفسى فليس هناك ما يدعو الى التواضع .. اذن لماذا لم يلفف حولى الذئاب ٠٠ ؟ وردت مرآتى بدون اكتراث وكأنها تتثاءب ٠٠ الى هنـا لا أعرف ٠٠ اسأليهم ٠٠ وتلفت حـولى فلم أجـد من يمثلهم فأخذت أسأل نفسى .. لماذا .. لماذا .. ؟

كان تساؤلى يسير جنبا الى جنب مع لعنـاتى المكاتب

الفيلسوف العبقرى الذى استطاع بكلمة واحـدة أن يقذف بى وسط دوامة .. لست أدرى لماذا قال تلك الكلمة .. لماذا يحاول أن يزعزع من تحتى عرش العفاف الذى كنت أتصور نفسى جالسة عليه ؟ .. ما الذى سيستفيد من ذلك .. لقد كنت راضية سعيدة فمـا باله ينغص على سعادتى ، واذا افترضنا أن سـعادتى كانت كسعادة مدمنى الأفيون .. أوهاما خلفتها لنفسى ، فما شأنه هو حتى يوقظنى من أوهامى ويفتح عينى على الحقائق .. هـل وكلته تلك الحقائق ليعلنها على الملأ .. هل هو مبعوث العناية الالهيـة لتصحيح الاوهـام ؟ ما كان ضره لو تركنى عائمـة فى العسل .. سعيدة قانعة بفضيلتى المزعومة ، لقد بددت كلمتـه سعادتى وزهوى بمبادىء وقوة أخلاقى ثم أتت فشككتنى فى تأثير جمالى ، الأمر الذى أصاب اعتدادى بطعنة مميته وأهـان غرورى ..

والله عال .. شىء جميل .. ألم أتساو حتى مع زكيـة كندوش التى يشبه شعرها كومة من الأسلاك الشائكة تحيـط بأرض خربة .. أو بشوقيه التى استولى حب الشـباب على المناطق الاستراتيجية فى وجهها واحتلها بجيش عرمرم والأستاذ فوزية التى تتمتع من صـفات الرجولة أكثر مما تحوز من صفات الأنوثة .. ومـع ذلك لم تسلم كل منهن من مناوشات الذئاب مما يؤكد المثل القائل بأن كل فوله ولها كيال ، فهل الجمال غير ذى التأثير والجاذبية هى الأهم ؟ .. واذا كان ذلك فهل أنا عاطلة تماما من الجاذبية ؟ لا أعتقد ، اذ أن جميع زميلاتى يحببنى ومدرسـاتى أيضا .. وأقاربى يحبون مجلسى ولا أجد صعوبة فى رؤية دلائل السرور على وجوههم عندما أحضر أى حفل أو اجتماع يؤمونه .

أوه .. يبدو أننى بدأت أهذى .. ما دخل الجاذبيـة الجنسية أو ما يدعونه « بالسكس » بجاذبيتى عند الزميلات .. بالطبع جاذبية عن أخرى تفترق ، وكل منهما لها لون ولها شروط

الجاذبية الأخيرة تتوافر عندى .. طيبة القلب .. رقة الطبع .. المرح وشائق الحديث .. أما الجاذبية الأولى فما سرها ؟ .. ولماذا حرمت منها .. هل لأنى أسير دائما وعلى وجهى نظرة جادة باردة لا تلتفت يمينا أو يسارا .. وهل هذه النظرة تكفى ليهرب منى الناس ؟ .. يهرب ؟ يا للداهية هل وصلت للهرب.. هل أصبحت سحنتى مرعبة ٠٠ بعبع يخيفون به الأطفال ٠٠ أو الذئاب .. أعتقد أن الفتاة التى تحمل نظراتها قدرا من الاغراء حتى لتجذب حولها عددا من الطامعين العابثين مصيبة .. ولكن التى يهرب منها الروميوهات .. الملائكة منهم والذئاب .. مصيبة أكبر .. لقد أصبحت الآن أخشى أن يهرب منى أحمد هو الآخر بعد عودته من الخارج .. خاصة أنه فى ايطاليا وليس فى انجلترا مثلا .. لابد أن أحاول من الآن أن أضمن خطاباتى له شيئا من العاطفة التى أحسسها نحوه وأحررها قليلا من ربقة هذا التحفظ الذى سجنتها فيه . ولكنى لن أطمئن من هذه الناحية حتى أرى ذئبا يحوم حولى فأعلم أننى لم أعد منفرة ..

هكذا أصبح كل همى أن يعترض طريقى هـذا الذئب .. ولكن أين هو ؟ .. اننى لا أرى ما يدل على أننى سأعثر عليه .. ذئب .. ذئب يا عالم .. ذئب يا هوه .. ذئب يا ناس .. هل فرغو .. انقرضـــوا .. ؟ أبدا فما زالت قصصهم تتوالى على سمعى من الجارات والصديقات حتى اذا ما وصلوا الى لحقهم الأدب وأصيبوا بشهامة حادة وركبتهم الأخلاق القويمة ٠٠

هل تفعل نظرتى كل هذا ؟ هل تحوى مادة كيماوية .. أو أشعة مطهرة ما تكاد تمس أى ذئب حتى تحوله الى انسان .. ولكن ٠٠ ألا يوجد بين الذئاب من هو غلس صفيق لا ترده النظرة البـــاردة ولا يردعه الاهمال أو الاحتقار « فيلقح جثته » رغم كل شىء ؟ ..

على أى الأحوال كان من السهل على أن أخفف من غلواء نظرتى واكسر من حدة تحفظى ولكن هذا لم يجد شيئا .. وظل جميع من أقابلهم من أقارب .. أبناء جيران أصدقاء الأسرة وغيرهم وغيرهم يعاملوننى بمنتهى الرقة والاحترام والشهامة والرجولة والانسانية .. ما هذا .. ؟ شىء يجنن .. هل توجد فوق ظهرى لافتة مكتوب عليها للذئاب فقط كلمة (احترس .. حقل الغام .. ؟) أم أن الأقدار صنعت لى مصفاة ضخمة ذات ثقوب جد ضيقة حتى لا ينفذ منها الا ذوو الأخلاق « الرفيعة » كى تحمينى من الباقين ؟ .. ولكن من قال لتلك الأقدار اننى ضعيفة لا أستطيع أن أحمى نفسى .. اننى أقوى مما تظن ويظن الجميع رغم رقتى هذه .. آه .. بودى لو رأيت هذه المصفاة العجيبة .. لكنت أعملت فيها سكينا كى أوسع من ثقوبها فتسمح بمرور ذئب . اذن لتصديت له لأثبت للأقدار ولنفسى وللكاتب الأحمق أن لحمى مر ناشف لا يقدر عليه اى ذئب مهما كانت قوة أنيابه ، وأننى فاضلة بارادتى ورغبتى ولست أنا تلك التى عناها فى كلمته السخيفة .. ذلك الكاتب المغرور .. الا لعنة الله عليه مرة خامسة .. أو ثامنة لا أعرف .. لم يعد فى رأسى عقل بعد .

أصبحت كل أفكارى تدور حول الذئاب ومحاولة اجتذابهم الى .. وكلما مرت الأيام بدون تحقيق غرضى ازددت تشبثا به وازدادت قوة التحدى والعناد والتصميم .. لم أعد أمتلك هذه الفكرة بل هى التى اصبحت تمتلكنى وتسيطر على وتسيرنى وترسم جميع تصرفاتى .. عبثا حاولت أن أصرف تفكيرى عن هذا الموضوع .. كلما حاولت أن أفنده أو أسخفه ازددت اقتناعا به .. اصبحت أرى فيه المنفذ الوحيد لكبريائى وكرامتى وسعادتى وراحة بالى . والطريق الوحيد لانتصارى على خصمى المجهول ،

واطمئنانى لحيــاتى الزوجية المقبلة ٠٠ فكيف أســتطيع أن أتخلى عنـــه ؟ ..

وتمر الأيام .. وما زالت معاملة جميع أفراد الجنس الآخر مغلفة بتلك الهالة من الرقة المهذبة .. مما كاد يصيبنى بالجنون.. ألا يحاول احد قط أن يغازلنى .. أن يضايقنى .. أن يعاكسنى فى التليفون .. أن يتلو على أسماعى اسطوانة من الاســطوانات العديدة التى لا يسيرون الا مسلحين بها ؟ .. ألم أحل قط في نظر أحد ؟ .. الم ألفت نظر شاب واحد ؟

قرات يوما لأحد العلماء أن لكل انسان قدرا من الاشعاع كلما زاد كثر عدد من يعرفونه ويلتفون حوله .. وأكد أن نجوم السينما وزعماء الجماهير تحظى بأكبر قدر من ذلك الاشعاع .. فهل هذه الحكاية صحيحة ؟ وهل أنا تبعا لذلك لا أملك أى قدر من ذلك الاشعاع ولذلك يهملنى الناس وينسوننى ؟ .. ولكن ليس كل الناس مشتركين فى هذا لنسيان .. فلدى مجموعة كبيرة من الصديقات .. كان الذين نسونى .. هم الذئاب فقط.. وكنت أنا أبادلهم النسيان ، ولم يذكرنى بهم ويدفعنى الى الجرى وراءهم الا حكيم آخر الزمان هذا .. لعنة الله عليه مرة أخرى..

أجل الجرى وراءهم .. فقد كاد رسوخ الفكرة فى رأسى وتشبثى بها ولهفتى عليهـــا أن يلغى عقلى ويخرجنى عن اتزانى ويدفعنى الى أن أخطو أنا الخطوة الاولى لولا أن الله سلم ، عندما عدت وتذكرت أننى لا أريد ذئبا لأستمتع بسواد عينيه او معسول كلامه ، بل أريد أن أصده وأردعه لكى اثبت اننى كنت بطـــلة لا مكرهة .. فكيف يستقيم أن أدعو شخصا الى مائدتى ثم أعود وأطرده بعد ان ألقى عليه درسا بحجة تطفله ؟ خطر لى أن ذلك يكون معقولا اذا كان الذى أبدأ به .. المطرب الشاب سعيد ..

فان تعبيرى له عن اعجابى الشديد لا يمكن أن يعد دعـــوة ، ومحاولتى مع هذا المطرب لا شك مضمونة .. ما من فتاة من زميلاتى حدثته معجبة الا راح يتغزل فى صوتها الذى يشبه شدو الكروان ، والذى يحمل الهـــدوء الى أعصابه المتعبة .. ثم يطلب منها فى توسل أن تتكلم ثانيا وثالثا .. وفى احدى المرات يغنى لها أغنية عاطفية وفى مرة أخرى يطلب مقابلتها بعد أن يحدثها مندهشا عن مثل كان يسمعه من زمان ولم يؤمن به الا اليوم .. وعندما تلح المعجبة فى معرفة المثـل يذكره أخـيرا .. « الأذن تعشق قبل العين أحيانا » .. وهو لم يكن يغير من أسلوبه هـذا .. حتى حفظناه ..

قويت عزيمتى وأمسكت سماعة التليفون .. ثم أعدتهـا مكانها وانتظرت حتى هدأت دقات قلبى وسكنت رعشة يدى ثم طلبته .. أخذت أصف له اعجابى وأبالغ فيه ونشوتى وسعادتى عندما أسمع صوته وهو يشكرنى بصوت متواضع مهذب .. كدت أبكى من الغيظ .. ثم تنهدت تنهيدة حارة حسرة على فشـــل خطتى ولكنه ظل ولا هو هنا .. عاد يكرر شـــكره ويسألنى باحترام .. هل أطلب شيئا ، صورة أو .. ؟

لم أتمالك أن أقفلت السكة بعنف .. ما هذا العنف .. هل تاب عن التغرير بالمعجبات ؟ حسنا .. اذا سلمنا أن نظرتى — حتى بعد أن خلعت عنها سمة الجمود والتحفظ ورسمت عليها ابتسامة مرحة كانت تمثل البراءة كنظرات الأطفال أو ابتسامات الملائكة — كما قالت لى احدى الصديقات — الأمر الذى يجـرد الناظر الى من أية فكرة خبيثة ويدفعه لاحترامى .. فهل صوتى ايضا كذلك .. هل يحمل هو الآخر مصلا أوفاكسينا مضـادا للعبث وأطماع الذئاب وكلمات الغزل هذا والله شىء عجيب .. حتى خطيبى عندما رآنى لأول مرة وسط زميلاتى .. وكنا نعود

شقيقته مدرسة فصلنا فتصادف أن فتح لنا هو الباب — لابد قد أعجبته جدا .. والا لما تقدم لخطبتى أنا التى أنتمى الى أسرة متوسطة وهو المعيد الجامعى الذى ينتظره مستقبل لامع ، لكنه مع ذلك لم يحاول قط أن يعبر لى عن هـذا الاعجاب ، وكانت أخته تعرف رقم تليفونى .. بل انه ما كان بحاجة الى سؤالها .. كنت أنا أطلبها يوميا لأسأل عن صحتها .. أغلب المرات كان هو الذى يرد .. فأطلب منه أن يبلغ أستاذتى سؤالى عنها وتمنياتى لها بالشفاء .. ويرد شاكرا مثنيا على طيب شعورى .. لم يحاول فى أى مرة أن يذكر لى أنه أحبنى من أول نظرة أو أن أسعد وامتع لحظاته هى تلك التى يسمع فيها صوتى — كما صرح لى بعـــد الخطبة — وكان ذلك هو المفروض ليعرف على الأقل شـــعورى نحوه وترحيبى به و رفضى له .. بل انتظر حتى شفيت أختــه وجاءت عندنا لتحدث والدتى ثم حضر هو وطلبنى رسميا من والدى .

هل أثر فيه هو الآخر — رغم حبه لى — هذا المصل الغريب الذى أودعته الطبيعة صوتى ونظراتى ؟ وقتها لم يخطر على بالى شىء من ذلك . لم أحس بغير السعادة العذبة التى لفنى فيهـا حبه لى وحبى له .. وبعد سفره لم يكن يعكر صفوى أى شىء .. ولذا فمن حقى أن أهدى للذى عكره الآن .. لعنة جديدة تضاف الى لعناتى السابقات ، وسأظل أزيدها كلما أزداد ضغط هـذه الفكرة السخيفة على أنفاسى ..

ولعنة الله أيضا على هذا التليفون .. بالمرة .. ما هذا .. ألا يكف طول النهار عن الرنين .. كأن ليس ورائى ســواه .. عشرون مكالمة فى اليوم .. المصيبة أن ليس بين المتكلمين ذئب واحد .. كل منهم سيد مهذب محترم .. حاضر .. حاضر .. هل طارت الدنيا .. آلوه .. يا الهى .. ما هذا .. من الذى

يطلبنى .. محطة الاذاعة أم شركة كايروفون ؟ .. هذا صوت عبد الحليم فى اغنيته أنا لك على طول .. وعدت أقول :

ــ من هذا بالضبط .. ؟

ــ انا يا فندم .. أسمعك نبضات قلبىبصوتعبد الحليم.. ربما شفع لى عندك . صحت بغضب (ما هــــذه السخافة) ؟ وتذكرت فجأة أن هذا صوت الأستاذ عباس المحامى شريك شقيقى فى مكتبه . فازداد غضبى واســـــتنكارى وتابعت توبيخى .. « أنت » .. ولكنى لم أكمل .. لقد غلبنى طبعى فزجرته .. ثم تنبهت الى أنه قد يكون ضالتى التى أبحث عنها من زمان .. انه يبدو حتى الآن مشروع ذئب فلأؤجل غضبى حتى يستوى قلت له فى لهفة :

ــ من أنت ؟

ــ الم تعرفى بعد .. اسألى قلبك .. اسألى شعورك .. أسألى عواطفك ، فى نفس الوقت كان عقلى يرسم لى التاكتيك.. (غلط لا يتناسب مع الخطة ان تظهرى ترحيبك بكلامه أو صدك له ــ الأصح أن تدعى عدم فهم مقصده سيظن أنك تتدللين ، وعندما توقفينه عند حده يظن مرة أخرى ــ أنك لم تكونى فاهمة فعلا ــ قلت بحذر ــ ماذا تريد ؟

ــ أريد أن تكفى عن هذا الاهمـــال للعاشق المسكين الذى يراك كل ثانية .. ولا يراك أبدا .

ــ هل هذا لغز ؟

ــ لا لغز ولا فذورة .. أراك كل ثانية فى خيالى .. فى كل كتاب أفتحه أو قضية أقرؤها ، وحتى فى الطبق الذى آكل فيه.. ولا أراك أبدا لأننى .. لا أراك أبدا .. اســــمعى لا أظن أننى

سأستطيع شرح حبى لك فى التليفون .. لكن عنـــدما نتقابل ستقرئين كل شىء بسهولة — فى عينى .. ما رأيك فى أن نلتقى بعد ظهر اليوم فى حديقة الأسماك وبعدها نذهب الى السينما هناك فيلم رائع فى سينما .. سينما ..

آه .. ها هو ذا يكشف عن نواياه .. ماذا أقول له .. لابد أن يكون ردى حاسما ولكن يجب أن أختار الكلمات بعناية .. الكلمات التى سأثبت بها للعالم وللكاتب العبقرى جـدا .. أن موقفى كان بيدى وليس بيد عمرو .. عاد صوته بعد أن تذكر السينما التى يريدها .

— نعم .. سينما .

لكن قبل أن يذكر اسم السينما تدخل صوت فى الخط .. لم يكن صوت ضميرى هـــــذه المرة ولكنها كانت عاملة الترنك تسألنى ..

— رقم ٥٤٣٢١ .

— نعـم .

— كلمى الزقازيق ..

آه .. هذا ولا ريب عمى الموظف هناك .. فعـــلا جاءنى صوته يسألنى عن الصحة والأحوال وأخذت أرد عليه ..

— الله يسلمك يا عمى .. صحته بخير يا عمى .. متشكره جدا يا عمى .. ان شاء الله .. سأحاول الحضور .. كويس الحمد لله .. طبعا يرسل خطابات .. بعد حوالى ستة أشهر .. الله يسلمك يا عمى .. ألف شكر يا عمى .. عقبال بناتك .. الله يسلمك .. سلم على الجميع عندك خصوصا تانت .. احنـا شاكرين جدا على سؤالك يا عمى ..

نعم شاكرين .. شاكرين جدا .. بالله ماذا كان لزوم هذه المكالمة .. ما الذى قلته يا سيد عمى .. كلها سلامات سلامات.. وهل كان لابد في هذا الوقت بالذات ؟ .. ألم تكن تستطيع تأجيل المكالمة للغد .. لقد مر عليك شهر لم تتكلم .. ها أنت قد طيرت الذئب الوحيد الذى رزقنى به الله .. آه .. ها هو التليفون يرن ثانيا .. يبدو أنه هو مرة أخرى ، الظاهر أنه ذئب (متين) قوى الاحتمال لا يهرب بسهولة :

— آلو ..

— آنسه سامية ؟

— نعم ..

— أنا عباس المحامى .. كنت أحادثك منذ فترة .. أقصد الحقيقة حدثت غلطة فظيعة كنت أحدث فتاة أخرى .. أعرفها .. نمرتها تختلف عن نمرتك فى رقم واحد .. يبدو اننى أخطأت وطلبتك انت .. الحقيقة اننى من أول الأمر خيل لى أن الصوت متغير .. بل بدا لى أنه صوت آخر أعرفه لكنى لم أكن متأكدا .. حتى سمعت عاملة الترنك تذكر رقمك .. كدت أصاب بالجنون الدقائق الثلاث مرت على كأنها ثلاثة أيام .. كنت أخشى أن تكونى قد عرفت صوتى .. وظننت أن هذا الكلام موجه الك أنت فعلا .. تصورى .. تبقى أكبر مصيبة .. ماذا تقولين على .. يكون معك الحق لو قلت عنى أننى غير مؤتمن على منازل أصدقائى .. وأننى لا أقدس الحرمات .. وهذا طبعا غير معقول .. حتى خصوصا أنت بالذات .. أظنه من غير الممكن أن يستطيع احد اسماعك كلاما سخيفا مثل هذا .. اننى أعتذر بشدة واقسم لك أننى كنت مخطئا فى الرقم .. أحسن يا الله السلامة .. بعدين تظنى فى نفسك انى .. ها ها ها .. انى ذئب .. وأنا يا آنسة رجل شريف ..

سطر مغلوط

قلت لها أكثر من مـرة انني لا أحب التريكو ٠٠ انه يحتاج لبال طويل ليس عندى ٠٠ عندما يصنع الانسان رداء كاملا غرزة غرزة ٠ فتفلسفت وقالت : ان رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة ذكرتها أيضا بأنني منذ الصغر فشلت فى تعلم التريكو وبرعت فى الخياطة ٠٠ حقا ما أجملها ! القماش موجود من الأصل وما على الا أن أخيطه من الجانبين والكتفين ليصبح فستانا مكتملا ولكن أختى أصرت ٠٠ شيء أصبح أشـــبه بتقليد مفروض اتباعه ٠٠ كل خطيبة لا بد أن تهدى فتاها بلوفرا من صنع يديها ٠٠ والجاهز ٠٠ ماعيبه؟

– سيحس باعزازك له أكثر اذا ما نسجته بنفسك ٠٠ ثم ان الجاهز لن يكون مناسبا لمقاس خطيبك ٠

– اذن اكسبى فى معروفا واصنعيه له أنت ٠٠ شغل التريكو عندك سهل جدا وكم أتحفتنا جميعا بروائعك ٠

– سوسن ياعزيزتى ٠٠ هل أنت عبيطة أو تدعين ذلك ؟ من

خطرت لها هذه الفكرة أول مرة لم تنفذها عبثا ، عندما تقومين بعمل جاكت لخطيبك مكون من صدر وظهر وكمين تصنعينها من لا شيء ٠٠ غرزة غرزة ٠٠ ستفكرين فيه طبعا وأنت تشتغلين ومع كل غرزة سيزداد قربا من نفسك وبتسلل حبه الى قلبك ٠٠

كان معها حق فعلا ٠٠ طيلة نسجي وأنا أفكر فيه ٠٠ ومع كل غرزة ألعن اليوم الذي التقيت فيه به ٠٠ عندما سمعت مع عدد من زميلاتي بالطريقة التى تزوجت بها أمي ٠٠ والتى اكتشفت أنها نفس طريقة زواج جميع أمهاتهن ـ رثيت لهن ٠٠ لم يكن ذلك اجا بل مقامرة ، وان حاولت أمي أن تخفف التعبير (بطيخة عولة) ولماذا لا تكون على السكين ؟ ولكن سكين اختلاطنا المحدود ن بنات الجامعة اللاتي يدعين التحرر وسعة الافق لا تكشف عن قدر يسير كاللون مثلا ٠٠ ويبقى الطعم ودرجة الصلابة والرائحة سرا فى قلب البطيخة ٠ اذ من ذا الذى يكشف عن كل طباعه أمام زميلاته ؟ بل حتى بعد خطبتنا ظللت أخرج معه شهرا كاملا قبل أن تنكشف لى دناءته ٠٠ أجل دناءة ولا أجد وصفا آخر ٠٠ انه يحاسبنى من الآن على مرتبى ٠٠ وعندما أبديت دهشتى حاول أن يبدى سماحته ٠

ـ تستطيعين أن تتبحبحى هذه الأشهر الباقية على الزواج ٠٠ وبعدها ؟ ظللت أستدرجه وكان رأيه مذهلا ٠٠ وقت الزوجة ملك لزوجها ومنزلها فاذا استغلت هذا الوقت فى عمل ما يعود أجره لصاحب الوقت الأصلى ٠٠ مالك السيارة مثلا له حق ايرادها عندما يشغلها تاكسى ٠

كدت أصاب بالغثيان ، يحاول أن يتظرف ولكن هل هذه خفة دم ؟ اننى قد أسمح لشخص أن يسرقنى اذا غلف سرقته بألفاظ مخففة ٠٠ حق ٠٠ ايراد ٠٠ مالك ٠٠ وقت ٠٠ سيارة ٠٠ يشغلها ٠

لم يكن يتكلم ، كان يقذف بالطوب لم يكن هذا أول عهدى به، فى كل زياراته كان يحمل لى معه واحدة ٠٠ ربما لم أحس بها لصغرها ولكنى وضعتها فى ذلك اليوم بعضها فوق بعضها فاذا بها تكون سدا كبيرا يقف بينى وبينه ٠

فكرت جديا فى فسخ الخطبة ٠٠ وان كنت أعلم أن ذلك لن يكون هينا على والدى وعلى الأسرة التى تمتد جذورها الى الصعيد وتتمسك بمفاهيم معينة ٠٠ بل ولا على أنا نفسى ٠٠ سمعتنى ٠٠ والقيل والقال ٠٠ أعرف ذلك جيدا ٠٠ سمعته فى مناسبات سابقة ٠٠ بل اشتركت فى احداها ٠٠ حتى بيننا نحن المتعلمات ٠٠ لم تكد تخرج من الحجرة حتى غمزت زميلة بعينها ٠٠ تلاقيه هو الذى فسخ الخطبة ٠

ــ غالبا ٠٠ لكنها لابد أن تقول ذلك ٠٠

ــ ترى لماذا تركها ؟

أما فى وسط الأسرة والجيران فانهم لا يكتفون بالظن ولكن يؤكدون ٠٠ ولا يتساءلون عن الأسباب وانما يتبرعون بالتكهن بها ٠٠ لماذا ؟ ألأن الرجال فى لعبة الزواج هم الأقوى والمجتمع دائما فى ذيل الأقوياء ؟ أم هم ينظرون الى الرجل على أنه كنز لا يعقل أن تعثر عليه فتاة ثم تتركه ؟ بعض الرجال قد يستحقون هذا الوصف ولكن البعض الآخر لا يزيدون عن قش ٠٠ ربما يرون الفتاة فى مجتمعنا كالغريقة لابد أن تتشبث حتى بقشاية ٠٠ قد تكون فعلا غريقات حيث تركنا تقاليدنا القديمة ونزلنا بحر الحياة قاصدين الضفة الأخرى ٠٠ التحرر ولكن يبدو أننا لم نصل بعد ٠٠ ربما استطاعت بناتنا الوصول ٠٠ جيلنا جيل التضحية ٠٠ ليتنا لم نترك الشاطىء الأول ــ على خوائه ــ اذن لما أصررت على رفض رقيب الأسرة ٠٠ احتججت ٠٠ سنى ثقافتى ٠٠ سعة أفقى ٠٠ ونجحت ٠٠ صرنا نخرج وحدنا ولا ثالث معنا سوى وعد بالزواج تؤكده دبلتان ٠٠

وهو قد يسمح بالكثير ·· لم يحدث حتى القليل من هذا الكثير ولكن من يؤكد ذلك للناس ؟ قالت لى أمى : سيتردد أى شاب مائة مرة قبل أن يطلبك ··

أعرف جميع المتاعب التى سأتعرض لها من قبل أن تعددها لى أمى ·· فقط هى تضع فوق عينيها نظارة مكبرة ·· ماذا ·· هل اقتنعت برأيها ؟ طبعا غير معقول ·· ولكنه حضر لزيارتى فى اليوم التالى ولم أقل شيئا ·· حتى لم أصارحه بضيقى من آرائه ·· ادعيت أننى حزينة لوفاة نجمة السينما التى كنت أحبها ·· ربما خشيت أن يفسخ هو الخطبة ·· مصيبة ·· يبدو أن أمى وقد منحتنى من قبل حبها ومصاغها قد منحتنى فى ذلك اليوم أيضا نظارتها ·· أظن هذا يكفى ·· لقد قالت لى أختى ان طول الكوت هو عشرة سنتى وطمأنتنى بأن غرزة الكوت هى المتعبة أما الباقى فسهل يسير ، ولكن ·· ما هذا ··؟ سطر مغلوط فى وسط الكوت ·· الغرزة العدل مكان المقلوب والمقلوب مكان العدل ·· كم يبدو منظره قبيحا كالرقعة ·· ولكن كى أصلحه لابد أن أفك كل ما فوقه ·· حوالى ستة أسطر فى كل منها أكثر من مائتى غرزة طلعت عينى حتى أكملتها· كلما انتهيت من سطر نظرت اليه أريد الاطمئنان الى أنه قد زاد فهل أعود وأفكه ؟ ثم ما الذى سيحدث اذا ارتدى سيادته بلوفرا به سطر واحد مغلوط ·· غير معقول أن أبدأه من جديد فأنا أكره التريكو جدا ·· كما أصبحت أيضا أكره صاحبه ولكن لماذا لا أصارحه ؟ ربما غير من طباعه ·· نعم لماذا أكون سلبية لدرجة الانسحاب لدى أول هزيمة ؟

فى اليوم التالى خرجت معه وعندما اتجه ناحية محل الحلوى أفهمته بحزم أننى لا أقبل أبدا أن أكون محط سخرية عمال الكازينو من المدير الى الجارسونات كما حدث فى المرات السابقة · لم يشتر الجاتوه ·· ولكنه كان نصرا خادعا ·· طيلة جلوسنا فى الكازينو

ونحن نتناقش ٠٠ كانت آراؤه عجيبة كعهدى به دائما ٠٠ (لصوص يبيعون القطعة بخمسة قروش وهى فى الخارج بنصف ذلك ٠٠ نأخذ شايا مقابل جلستنا وهذا يكفى ٠٠ لا تضيرنى أبدا نظرات الاستنكار من الجارسونات ولا اعتراض المدير ٠٠ فلينفلقوا جميعا ٠٠ الـــذين يضحون بمزيد من المـال يشترون به احترام الناس تافهون يميلون للتظاهر ٠ أفرغت كل ما لدى من منطق بيد أنه لم يقتنع أبدا ٠٠ ولكنى أنا اقتنعت ٠٠ اقتنعت بأن ليست هذه ايجابية على الاطلاق ٠

الايجابية هى فى تذليل العقبات لتحسين المستقبل ٠٠ هى فى تفتيت الجبال اذا وقفت فى وجه هذا المستقبل ٠٠ كما يجرى الآن فى اسوان مثلا ٠٠ أما تغيير طباع شخص ما فأمر غير ممكن ٠٠ حقا لقد قال أجدادنا ان الطبع يخرج من الجسم٠٠ بعد الروح ٠ كيف فكرت فى ذلك ؟ أنا مثلا ٠٠ وأنا أصغر سنا كما أن جنسنا عادة ألين عوداً هل فى امكان أحد أن يغير نظرتى للقيم فأصبح من عباد المادة ؟ ٠٠ مستحيل ، الايجابية فى موضوعى بالذات هى فى أن أقطع بشجاعة وتصميم الوثائق الذى يربط خطى حياتينا فأرفض هذا الزواج الذى تبدو مقدمات فشله واضحة ٠٠ واختار طريق سعادتى الذى يختلف تماما عن طريق حياته ٠٠

فالنتينا تخرق المجـال الجوى للأرض وتحلق فى الفضــاء ٠٠ ونحيت الجريدة جانبا ٠٠ أردت أن أشغل نفسى فاذا بهـــا تزيدنى سخطا ٠٠ لا أستطيع أنا خرق معتقدات سخيفة تعارف عليها الناس ٠٠ الناس هنا فقط ٠٠ فى كل الدنيا ينظرون الى فترة الخطبة على انها فترة اختبار كل من الشريكين لشريكه ، ورفضها يعنى أنهمـا لم يتفاهما ٠٠ أما فى بلدنا أو فى وسطنا المحافظ بالذات فتقول أمى أن ذلك الاختبار يجب أن يسبق الخطبة ٠٠ كيف بالله عليك يا أمى العزيزة ؟ وعلى فرض أنه كان زميلى فسيظل جانب كبير من شخصيته وهو الجانب الذى يهم شريكة حياته بعيدا عن متناول اختبارها فما

بالك وهو لم يكن زميلى ٠٠ كيف يمكن أن يكون زميلى وقد تخرج من الكلية قبل التحاقى بها بعام واحد ؟ هو كان زميل عفاف ٠٠٠ الحبوبة الدلوعة التى تسير فى دراستها غير متعجلة فتأخذ السنة فى سنتين ٠٠ حتى تخرجت معى وقبل التخرج بشهور عرفتنى بشكوى عبد العزيز لأول مرة ٠٠ حين انتهز فرصة نقله الى القـــاهرة وجاء الكلية ليسجل رسالة الماجستير توطئة للحصول على الدكتـوراه ، وكانت أمامه عقبة كبيرة حاول فى تردده الكثير أن يذللها ٠٠ ولكنها لائحة الكلية ٠٠ لا يسجل للدراسات العليا الا الحاصل على جيد على الأقل ٠

فى كل زياراته كان يرانا ٠٠ وخيـــل الى أن عفـاف تنتظر أن يخطبها ولـكنه تقدم لى أنا ٠٠ ولم يكن ممكنا فى هذه المعرفة السطحية أن أعرف عنه غير القليل ٠٠ الذى راقنى ، حتى اكتشفت بعد ذلك أننى أخطأت فى فهم تصرفاته وأن المقصود بها كان العكس تماما ٠٠ أكبرت فيه الطموح العلمى لمحاولاته اليائسة مع قوانين الكلية حتى صرح لى ساخرا بأنه لا ذلك الطموح ولا المركز الأدبى خطرا له على بال وكل الذى كان يدفعه مرتب الشهادة الكبير أعجبنى أيضا ايثاره وخلوه من العقدة التى تكمن لدى أغلب الرجال الشرقيين فتدفعهم الى الظهور بالتفوق على الزوجة ، وذلك حين راح يقدمنى لكل أصدقائه على أننى أحضر للدكتوراه ٠٠ الى أن أدركت أخيرا أنه الغرور يدفعـه لذلك التقديم ٠٠ حتى نظرته العميقة لشريكة حياته ٠٠ تلك النظرة التى أعجبتنى وأشعرتنى تجاهه بالتقدير حين فضل العقل والاتزان على الجمال ، فلا مفر من الاعتراف بأن عفاف أجمل منه بكثير ٠٠ كنت مخطئة فيها ، ما لم أكن أكثر من صفقة أكثر ربحا باعتبار شهادتى المتوقعة التى أصبحت أكرهها بعد الحماس الشديد ٠ لم أتخيل ذلك فقط بعد معرفتى لشخصيته ولكنه أكره لى ببعض سقطات من لسانه ٠

كيف أتزوج شخصا لا أحترمه ؟ كيف أعيش معه يوما بعد يوم

وعاما وراء عام ٠ وآرائى تصطدم بآرائه كلما تقابلنا ؟ ليست الحياة الزوجية لقاء جسدين وحسب ، والا لأصبحنا كالحيوانات يكفى أن يلتقى الذكر ٠٠ أى ذكر بالأنثى ٠٠ أى أنثى ٠٠ ولكنها قبل ذلك تقارب طبعين ، وتفاهم عقليتين تقطعان معا رحلة الحياة الطويلة ٠٠

والوجه الآخر ؟ قيل وقال ٠٠ اشاعات وتخمينات لحاسدين٠٠

ناجحة في دراستى وعملى ولا مفر من وجودهم ، وجارات وقريبات لم يوصلهن مجموعهن للجامعة، أو دخلن ثم تعثرن فى الطريق، وأمهاتهن يطلقن تنهيدة ارتياح ٠٠ ليس لبناتنا عمل يشاركهن فيه زملاء ٠٠ وصديقات مرحات عاطفيات كنت أشذ عنهن بتحفظ ووقار سيحكين اليوم عن افتعاله ٠٠ وحتى غير الكارهين ٠٠ فى كل مكان ستطالعنى فى أعين الزملاء علامات استفهام لافحة ٠٠ وتهكم ساخر فىعيون الزميلات ٠٠ ما أكاد أدير ظهرى لهن حتى يتقارب كل رأسين وتبدأ الثرثرة .. تحررنا كان ظاهريا وحسب أما أفكارنا فما زالت ترتدى الحجاب ٠٠

وموقفى أنا حيال كل هذا ؟ هل أترفع عن كل الأقاويل فالقيها خلف ظهرى فى عدم اهتمام ٠٠ أم أحمل تحت ابطى مذكرة تفسيرية أسرح بها على الجميع ؟

لماذا جبلت النفس البشرية على السخرية بمحن الآخرين ؟٠٠ لماذا أوقع القدر أمس ذلك الرجل العجوز ذى البدلة البيضاء والمنشة الأنيقة أمام شرفتنا بالذات ؟ قام الرجل من سقطته فى الارض الموحلة وقد أصبحت بدلته مرقطة كجلد النمر ٠٠ انطلقت الضحكات من الجميع فى الشارع وفى شرفتنا ٠٠ ألم يكن الأجدر أن تتبدى مشاعر الأسف على الوجوه ٠٠ على الأقل ؟ أيضا عندما تفض خطبة فتاة سواء من جانبها أو جانبه أليس هذا فشل لمشروع كانت تحلم من ورائه بالسعادة ؟ المفروض اذن أن تستشعر من المحيطين بها الأسف والعطف والمشاركة ولكن ٠٠ أنا معذورة فى هذه الأهمية التى

أعطيها للتقولات ، فمهما بلغنا من الرقى والمدنية لا نستطيع أن نهمل آراء الناس فينا أو أقوالهم عنا مادمنا نعيش وسطهم ، ولقد قرأت حتى فى روايات أجنبية عن أشخاص أصابهم اليأس أو ملأتهم العقد بسبب شائعات ظالمة .

بعد هذا الحادث الصغير عادت الكفتان تتعادلان وكانت كفة الفسخ قد بدأت ـ تميل ٠٠ وهكذا حتى خرج من زيارته لى مساء أمس كنت لا أزال مترددة ٠٠ لم أقض ما بيننا وان كنت أيضا لم أخرج معه ٠٠ كشخص وجد بالطريق أمامه بعض أخطار ٠٠ وخلفه أيضا غير خال منها ، فآثر أن يقف وسط الطريق ٠٠ مع أن لاشىء فى الدنيا يمكن أن يقف حيث هو ٠٠ حتى التريكو فى يدى يكبر ٠٠

لا عجب أن يعزو علماء النفس حب الأم لأطفالها الى جهدها وعنائها فى حملهم وولادتهم ثم فى خدمتهم ورعايتهم اذا كانت قطعة الصوف قد أصبحت غالية عندى بهذه الدرجة ٠٠ انظر اليها باعزاز شديد ٠٠ لقد ظهرت الى الوجود بجهد كبير اشترك فيه ذهنى مع يدى وعينى ، هو أيضا سر كثيرا ٠٠ لم ير البلوفر فى يدى الا أمس ٠٠ حرصت قبل ذلك على اخفائه فقد كنت أود جعلها مفاجأة ٠٠ لم أعد أهتم ٠٠ وكان لابد أن يعبر عن سرور ٠

ـ تصنعينه بيدك ؟٠٠ هذا عظيم ٠٠ لا تتصورى كم يفرق ثمنه عن الجاهز ؟ رغم ذلك التشجيع من جانبه كنت ما أزال أشتغل فيه هذا الصباح ٠٠ وحدى ٠٠ لم أعد أمل أبدا الجلوس وحيدة ٠٠ فى صمت مطبق وسكون عميق ٠٠ لا يكاد يخدش الاول صوت احتكاك الابر ٠٠ ولا الثانى حركة شلة الصوف ٠٠ عندما أجذب الخيط فتروح تتقافز حولى كأنها عصفور مرح سرى فى أوصاله الدفء ، الابر تعمل وحدها ٠٠ أحيانا يخيل لى ذلك٠٠ كعصاتى ساحر تحول لمساتهما الخيط المفكك الى نسيج متماسك ، تماثل فى خاطرى قلم

كاتب يصوغ من الكلمات المفردة قصة ·· أو ريشة موسيقار تجمع الأنغام المتناثرة فى سمفونية ·· تتعانقان ثم تفترقان ·· الى عناق جديد ·· لا انفصال بينهما ·· يجمع الاثنين نسيج الصوف كأنه مصير لا مفر منه·· وهما بهذا المصير المتشابك راضيتان·· لا أسمع لالتقائهما صوت صدام عنيف ولكن وسوسة رقيقة كرفيف قبلة ·· وعصفور الخيط ماض فى تراقصه رغم اقترابه من النهـاية وكأنه سعيد أنه يمنح دمه قطرة قطرة ليكتب به قصة أو سيمفونية الحب·· أين أنا من كل ذلك ·· فى الجانب الآخر من العالم ·· فرح بالبلوفر وقدرنى من أجله كثيرا ·· تماما كما قدرت يا أختى ·· ولكنك كنت فى واد وهو فى واد آخر ·· وتمنيت لو تحضر لزيارتنا لأقيم معهـا خناقة لرب السماء ·· تسببت فى تعبى بدون نتيجـة ·· كالقطط حضرت على السيرة وصاحت بمرح خلية البال ··

ــ مدهشة ··كدت تنتهين من الصدر ·

ــ نعم حردت الباط أمس وأبدأ الآن فى حرد القبة ··

وضعته أمامها تتأمله فى سرور وفجأة شهقت بعنف ، وذعرت قالت بأسف .

ــ هناك سطر مغلوط فى منتصف الكوت ··

وأجبت بلا مبالاة ·· نعم ·· لم أفطن اليه الا بعد عدة أسطر ·

ــ ولكن يجب أن تفك كل هذا حتى تصل اليه ··

وقرنت القول بالعمل ·· سحبت الابر ثم مضت تجذب الخيط ·· وروعنى عملها حتى اننى ظللت برهة أنظر اليها مأخوذة دون أن أقوى على النطق أو الحركة حتى أفقت من ذهـــولى أخيرا فهجمت على البلوفر أحاول انتزاعه من يدها صارخة ·

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ مستحيل ٠٠ تعبت فيه جدا وتكلفت جهدا ٠٠ وأرهقت نفسى به أيما ارهاق ٠٠ يوما بعد يوم وليلة اثر ليلة ٠٠ لا يمكن أن تهدمى هذا كله فى لحظة واحدة ٠٠

ـ أنت الملومة ٠٠ كان يجب أن تتراجعى بمجرد اكتشـــافك للسطر المغلوط وانت بعد فى أول الشوط ـ لتعيدى عمله على أساس سليم ٠٠ كيف تبنين وتعلين البناء على خطأ ؟ مادمت قد رأيت به هذا العيب الجسيم ٠٠ ما كان لك أن تمضى فيه أبدا ٠٠ أبدا ٠٠

خطأ ٠٠ في التقدير

كانت أول مرة أراه فيها معها ٠٠ قام يقدمها الى « عزيزة ٠٠ زوجتى » ، تماما نفس الكلمة التى كثيرا ما تخيلته يقدمنى بها ٠٠٠ كم كان يسكرنى مجرد تخيلها ٠٠ نعم أعترف اننى لم أحبه بقلبى فقـط ٠٠ بل وبغرورى الأنثوى أيضا ، يسرى لاعب الكرة الشهير الذى يجن اعجابا به عدد كبير من فتيات مصر ٠٠ يختارنى أنا من بين كل من التقى بهن ٠٠!

مجرد التفاتة الى يوم التقينا أول مرة سرنى وخفف كثيرا من مرارة هزيمتى فى التنس أمام زميلتى سعاد الفائزة يصفقون لهـــا ويهللون بينما لم يحدثنى أو يهتم بى أحد ، وفجـــأة وجدته بجوارى يبتسم لى ٠٠ بادرنى :

ـ أعتذر انى باكلمك بدون سابق معرفة ٠٠ لكن أصلى شفت الماتش من أوله وأحب أهنئك !

دهشت وخيل الى أنه يسخر منى ولكنه أردف :

– مش من العدل أن التهنئة تكون بس من نصيب الفائز ، كل اللى يلعب بفن وحماسة وجدية يستحق التهنئة٠٠ أنت لعبت كأحسن ما يكون وبذلت كل اللى فى وسعك ٠٠ وهزمت بشرف ٠٠

ابتسمت له بامتنان وخيل الى أن شـكله ليس بغريب على ، وفجأة هتفت :

– كابتن يسرى لاعب الكرة المشهور ٠٠؟

– أنا اسمى يسرى ٠٠ وبالعب كرة قدم ٠٠ انما المشهور دى من عندك انت ٠٠

كانت المجموعة لا تزال تلتف حول سعاد ٠٠ وأكثر من واحد يقدم اليها المرطبات ٠٠ قال وكأنه يقدم اعتذارا عن تصرف الباقين :

– تسمحى لى أقدم لك كوب عصير ؟٠٠

وقبلت بسرور ، استطرد ونحن نشرب :

– عمر الرياضة ما كانت نتيجة وبس ، الرياضة هى اللعبـة الكويسـة .. النظيفة ، الناس تلوم بس اللى يهمل فى لعبة أويتهاون ٠٠ أنا لما بالعب ماتش ونكسبه ويكون الفريق اللى قدامنا لعب كويس بأشجعهم ٠٠ وأقول كده بأعلى صوتى ٠٠ ولما باتغلب لابزعل ولا باحقد ٠٠ مادام عملت اللى على ، باتقدم لى كسبوا وأهنيهم ٠٠ مش بس حاجة شكلية كده ٠٠ وانما من كل قلبى ، لأن كل لعبة لازم يكون فيهـا غالب ومغلوب واللى يتغلب النهاردة ٠٠ مسيره يغلب بكره ٠٠

بعدها ٠٠ استمرت صداقتنا ٠٠ شهورا ٠٠ نمت ٠٠ أصبحت حبا ٠٠ حبا كبيرا ملك على كل قلبى ٠٠ تمنيت أن نتوج ذلك الحب بالزواج ، بل أصبح هذا الحلم شغلى الشاغل ليلى ونهارى ٠ لا أكتفى

بمجرد التمنى ٠٠ بل أخطط أيضا ٠٠ كيف ستكون علاقتنا بعـــد الزواج ، سأسعده ٠٠ سأفعل كل مابوسعى كى أرضيه ٠٠ ليس هذا فقط ٠٠ سأكون ملاكه الحـــارس الذى يقف بجواره يرعاه ويحميه ٠٠ حتى من نفسه ، لن أجعله يسهر ٠٠ سيكون فى ذلك حرمان لى من متع وحفلات عديدة ٠٠ ولكنى سأضحى حتى يكون دائما فى كامل لياقته ٠٠ لن يهمنى أن أحرم من صـــحبته فترات طويلة مادام يتمرن ، أنا رياضية أيضا وأعرف ما يفيد اللاعب وما يضره ٠٠ من مأكل وتمرين وراحة ، يقولون ان خلف كل عظيم امرأة ٠٠ سأقف أنا خلفه ٠٠ حتى يصبح لاعبا عظيما ٠٠ ظللت أياما أرقب بقلق نتيجة مسابقة أحسن لاعب وأعز أمنية لى أن يفوز هو بالمركز الأول ، ولم يخفف من ألمى حين جاء ترتيبه الثـالث سوى أملى فى أن يصبح الأول فى العام القادم ٠٠ حينما أكون بجانبه ٠٠ وسيعرف وقتها السبب والمسبب فى هذا التقدم والنجاح والصيت الذائع ٠٠ ربما يبلغ ذلك الصيت النوادى الكبرى فى العـــالم فتطلب التعاقد معه ٠٠ ترى ماذا يكون موقفه ؟٠٠ لا داعى للتفكير الآن ٠٠ وقتها سنتدارس الامر لنرى أيهما أكثر فائدة لنا ولبلدنا ٠٠ اللعب فيها أم رفع اسمها بالخارج ؟ وأنا خلفه فى كل كفاحه ٠٠ وبجواره فى كل نجاحه ٠٠ ولكن الشهور تمضى وذلك الحـلم لا يخرج الى عالم الحقيقة ، عصر أحد الايام كنت أجلس فى النادى أنتظره ، وفجأة رأيت نادية كأنما انشقت عنها الارض ٠٠ سألتنى بخبث :

ــ أمال فين يسرى ؟٠٠

ــ زمانه جاى ٠٠

ــ هيه ٠٠ وحنشرب الشربات امتى بقى ؟٠٠

وتنهدت بضيق : والله يا ناديه مش باين ٠٠

ــ الله ٠٠ انتوا مش بتحبوا بعض !

ـ طبعا ٠٠ لكن عمره ما فاتحنى فى الجواز ٠٠

ـ لمحى له انتى ٠٠

ـ مش ممكن ، أنا كرامتى أغلى من أى شىء ٠٠ أنا صـــحيح أسبور وباتردد على النادى لكن ما وصلناش للدرجة دى ٠٠ احنا لنا تقاليدنا برضه ٠٠

سكتت نادية قليلا كأنها تفكر ثم صاحت فجأة :

ـ اسمعى ٠٠ تدى ايه لى يقولك على فكرة تخليه يشدك شد على المـأذون ٠٠

هتفت : اديله روحى ٠٠ لـكن لا ٠٠ روحى دى ملك يسرى٠٠ اديله أى حاجة يطلبها ٠٠

ـ أحسن ٠٠ روحك دى رح أعمــل بيها ايه ٠٠ ؟ أنا عايزه حته كبيره من تورتة الفرح ٠٠!

ـ موافقة ٠٠ ايه بقى الفكرة دى ٠٠؟

ـ بس عشان تنجح الفكرة لازم يكون بيحبك ٠٠ ولو شــوية صغيرين ٠٠

ـ هو طبعا بيحبنى ٠٠

ـ صارحك بحبه ؟

ـ ا ٠٠ لا ٠٠ انما أنا لى قلب بيحس ٠٠ وعنين بتشوف ٠٠

ـ ده يبقى شىء جميل ٠٠ الفكرة بقى يا ستى ٠٠ نشـــوف واحد من معارفنا ونقدمه له على انه عايز يتجوزك ٠٠ الراجل عادة تبقى قدامه الواحدة مش مهتم بيها ، ولما يحس انهـا حاتفلت منه تزيد محاسنها قوى فى عينه ويروح متبت فيها ٠٠

ـ فكرة هايلة .. برافو عليك يا ناديه .. تعرفى انها فكرة مدهشة ٠٠

ـ من باب التواضع دى مش فكرتى ٠٠ دى فكرة قديمة ٠٠

ـ ما أنا عارفة ٠٠ ده أنا شـــفتها على الاقل فى عشر أفلام مصرية ٠٠

ـ مش بس فى الافلام ٠٠ وفى الواقع كمان ٠٠ ايناس مـع فريد ٠٠ واخويا حامد مع مراته ٠٠ هو كان حيتجوزها غير لما قالت له انها خلاص حتتخطب ، وفوزيه ونبيل كمان ٠٠

ـ عارفاهم كلهم ٠٠ لكن حانجيب الواحد ده منين ؟٠٠

ـ فيه واحد قريبى لسه منضم للنادى جديد وما حدش هنـا يعرفه ٠٠ وهو يعزنى قوى ولا يرفضليش طلب ٠٠ وما تخافيش ياخد الحكاية جد ٠٠ هو كمان قلبه مشغول ٠٠

ـ يمكن يخاف بعدين صاحبته تاخد خبر ٠٠

ـ دى من اسـكندرية ، وعلى العموم الحكاية مش حتاخد دقايق ولا حد حيدرى خالص ٠٠

جاءت ساعة الصفر فى تنفيذ الخطة ، وتمت الخطوة الاولى منها على ما يرام ٠٠ جلست مع الدكتور عزت نتحدث فى تفاهم ٠ ودارت نادية فى أرجاء النادى حتى عثرت على يسرى وبطريقة ما استدرجته الينا ٠٠ الخطوة الثانية تمت أيضا حسب الخطة ٠٠ جاءا الى مائدتنا وجلسا بعد أن قدمت الدكتور الى يسرى الذى أخبره بأنه يعـرفه بالسمع من صديق له كان يعالج فى عيادته الكبيرة، ظل يسرى ينظر الينا نظرات قلقة مستطلعة الامر الذى جعل قلبى يرقص طربا ٠٠ تكاد الخطة تؤتى ثمارها ، وحسبما يقضى البند الثـالث من خطتنا جاء

الجرسون ليعلن للدكتور انه مطلوب على التليفون فاستأذن منصرفا . وما كاد يغيب عنا حتى غمزت لى نادية بعينيها قائلة :

ــ شخصية رائعة الدكتور عزت ده ..

قلت بتحفظ : مش بطال ..

ــ دا مش شخص واحد .. دا مجموعة .. ضـــابط ودكتور وأديب ورياضى .. تعرفى انكم لايقين لبعض .. لبسنى الدبلة والا لســـه ؟ ..

ــ لسه .. طلبت من بابا مهلة أفكر ..

وسأل يسرى : وباباك موافق ؟..

ــ أيوه ...

ــ وانت ؟..

ــ مش عارفه .. أنا الحقيقة ما باشعرش ناحيته بحب .. لكن مش حاقدر أرفضه .. مافيش سبب أقدر أقوله ..

قالت نادية .. حسب الخطة أيضا :

ــ ياه .. دا عندى ميعاد مع دكتور الاسنان .. كنت ناسياه خالص .. لولا الضرس نقح على فجأة .. زى ما يكون بيفكرنى .. عن اذنكو يا جماعة ..

كانت الخطوة الأخيرة من الخطة تفترض أن يسرى سيمسك بيدى فى غيرة وضيق وهو يقول بصوت خافت لكنه قاطع « ازاى تتجوزى واحد تانى .. انت مش عارفه انى باحبك ، ولا يمكن مخلوق على وجه الارض يقدر ياخـــدك منى .. الخ الخ » .. نظرت الى الأفق البعيد منتظرة صوت يسرى يحدثنى ولكن الذى سمعته كان صوت

الكرسى ٠٠ يتحرك ٠٠ التفت لأجد يسرى واقفا ٠٠ مد لى يده يقول بابتسامة هادئة :

ــ مبروك يا زينب مقدما .. الف مبروك ، وربنــا يتم بخير ان شاء الله ٠٠

لم أكد أفيق من الذهول الذى استغرقنى ثوان حتى كان قد توارى بعيدا .. وبقيت جالسة فترة طويلة لا أدرى ماذا أفعل ، حتى لم أجد فائدة من البقاء فقمت عائدة الى البيت وأنا فى شدة الألم ، كيف حدث هذا ؟ هل أحس يسرى أننى قد جرحته ٠٠ اطلاقا لم يحدث هذا ٠ لم نكن أنا والدكتور نتضاحك أو نتهامس كما يحدث فى الأفلام ٠٠ على العكس كنت فى منتهى التحفظ ، هل أعتبر ماحدث دليلا على أن يسرى لم يكن يضمر لى أى حب أم أحاول اصلاح الامر ؟ وكيف أستطيع أن أفعل ؟ هل أذكر له اننى كنت أمثل عليه ؟٠٠

استمر الصراع بين قلبى طرف أول وعقلى وكبريائى طرف ثان حوالى أسبوع قضيته فى هم وكرب وأخيرا تغلب الطرف الاول فقمت أرتدى ملابسى وأنا أرتب فى ذهنى ما سأقوله بعــــد أن أخلق أى مناسبة لهذا الحديث ٠٠ بعد التفكير رفضت الزواج لأن قلبى متعلق بآخر ٠٠ عله يفهم أنه هو ذلك الآخر ، عند الباب قابلت ناديه التى جاءت لزيارتى بادرتنى وكأنها تعزينى :

ــ والله يا زينب أنا اتضايقت قوى ٠٠ لكن أنا مش عايزاك تزعلى نفسك ٠٠ مادام ما كانش بيحبك يبقى مايستاهلش انك تزعلى عشانه ٠٠!

دق قلبى بعنف : بتتكلمى عن ايه ؟٠٠

ــ الله ٠٠ انتى ماقريتيش جرائد النهارده ؟

ــ فيها ايه ؟

ـ عن جواز يسرى يعنى ..

وكدت أسقط من طولى ، وأسرعت الى الجريدة .. كان الخبر مقتضبا عن عقد قران اللاعب الشهير يسرى على فتاة من أسرة محافظة ولذلك تعتذر الجريدة لقرائها عن عدم نشر صورتها ، قلت فى صوت شبه باك :

ـ لعنة الله عليها فى خطة ..

ـ أنا من الأول قلت لك أن نجاح الخطة دى مرهون بأنه يكون بيحبك ، لأنه لو كان واخدها تسالى أو حتى مجرد صداقة بريئة ..

ـ أنا متأكدة انه كان بيحبنى ..!

ـ مش ممكن .. لو كان بيحبك كان لازم حاول انه يستحوذ عليكى ..

ـ على العموم أنا مابالومكيش .. انتى ماغصبتنيش على حاجة .. وأنا لى عقل واقدر أميز ..

ـ ما انا مش باقول كده عشــــان أدافع عن نفسى ، أنا مش عايزاك انتى تحسى بمرارة أو تلومى نفسك طول العمر اذا ظنيتى كده ، الخطه دى ناجحه ميه الميه .. ومتجربه ستين مره عمرهـــا ما خيبت أبدا ، دى زى ما باقولك قديمة جدا .. أقدم من الأهرام .. أقدم بكثير .. من أيام أمنا حوا ..

ـ أمنا حوا كانت استعانت بواحد تانى عشان أبونا آدم يغير ويتجوزها بسرعة ؟ !

ـ لا .. بنتها .. وبسبب البنت دى ، قابيل قتل أخوه هابيل .. انت ما بتعرفيش تاريخ والا ايه ؟..

ـ والنبى يا ناديه ما انا رايقه لك ..

ـ فشل الخطة المرة دى كان بسبب خطـأ فى التقـدير ٠٠ وضعناها ونفـذناها على أساس تقـديرك انه بيحبك وده ماكانش شعوره قطعا ، والدليل على كلامى انه لازم كان ناوى من زمان على البنت المحافظه اياها دى ٠٠ والا بعقلك كان فى أيام حيلحق يفكر ويخطب ويتجوز ؟ ثم انت ماكانش باين منك ميل قوى للدكتور زى ما يتمثل بعض البنات حتى تقولى انه زعل ٠

نعم ٠٠ معك حق ٠٠ كنت فى جلستى مع الدكتور متحفظة تماما ٠٠ قلت صراحة اننى لا أحبه واننى مترددة فى قبوله ٠٠ كان ذلك كفيل باسعاده وليس باغضابه حتى ليروح يتزوج فى أيام ـ هذا اذا كان يحبنى ـ ثم هل كانت العروس جاهزة فوق الرف كقرص الاسبرين الموضوع فى الاجزخانة « تحت عوزه » ، أكثـر من ذلك انه لم يكن يبدو عليـه الغضب أبدا ٠٠ كان يبتسـم بلا مبالاة وهو يهنئنى بحرارة عموما هكذا حظى ولن أحصل على أكثر مما قدر لى ، لأحاول اذن أن أعود للتنس ربما استطعت عن طريق اغراق نفسى فيه تضميد جراح قلبى ٠٠

سألنى يسرى بعد جلوسه بثوان عن الدكتور عزت وأين هو ٠٠ أجبته شاردة :

ـ مش عارفه ٠٠

ـ هو مش معاكى هنا فى النادى ؟

وتنبهت : هه ٠٠ لا ٠٠ أنا أقصد ٠٠ هو أصله ٠٠ مسافر ٠

قبل أن أستأذن لأقوم جاءت نادية ، ما أن رأت يسرى حتى هللت تهنئه ، وتثرثر :

ـ ما عدش حد بيشوفك ٠٠ طبعا ٠٠ ياسيدى ٠٠ شـهور العسل بقى ٠٠ عارف زينب دلوقت ٠٠ بقت هايلة فى التنس ٠٠

ماعادش حد يقدر يقف قصادها ، دى عندها ماتش دلوقت .. ايه رأيكم تحبوا تشوفوه ؟..

ـ طبعا .. طبعا .. يلا بينا ..

فى الطريق الى ملعب التنس .. استأذنت العروس السعيدة فى الذهاب لدورة المياه وكأن نادية كانت تنتظر هذه الفرصة من .. أجيـال :

ـ والله بتعرف تخبى يا كابتن .. كل المدة دى ولا قلت لنا انك خاطب ..

ـ أصل الحكاية جت مفاجئة ..

ـ مش معقول .. لازم كنت حاطط عينك عليها من زمان ..

ـ والله أبدا .. هى أصلها بنت خالتى ووالدتى كانت لهـا رغبة فى جوازنا لكن أنا كنت .. أقصد يعنى .. كان فيه حب كبير مالى على حياتى ..

قالت نادية ببساطة أربكتنا :

ـ زينب ؟..

وجم يسرى وظل ينقل نظراته بيننا حائرا وأخيرا تنهد مسلما :

ـ يعنى أنا عمرى ما صرحت لها .. رغم اننا كنا احنا الاثنين خاليين ـ لمجرد خوفى من عراقيل قدامنا ـ آجى دلوقت ..؟ هيه.. الظروف ولسانك المسحوب كمان يا ناديه ..

شحب وجهى كالأموات وارتجفت يدى ونادية تضغط عليهـا مهدئة .. عادت نادية تحاول « تكشه » :

ـ وانت بقى .. اضطريت تمشى حسب رغبة والدتك ..

ـ أبدا ·· الحكاية ماكانتش كده ·· عزيزه يتيمة ·· ومتربية معانا ، أمى كانت وعدت أمها على فراش الموت انها حتعمل كلوسعها عشان نهيىء لها السعادة ·· سعادة البنت فى نظر والدتى ·· كانت جوازها ·· كانت مصممة انى أحقق وعدها لأختها ·· ماكنتش قادر أصدمها فى آمالها .. كنت مستنى الظروف عشان أفاتحها باللى اختارها قلبى ·· كان فيه واحد صاحبى ضـــابط فى اليمن كنت حاسس كده انه له رغبة فى عزيزة ، واتمنيت انه يخطبها عشان والدتى تطمئن من ناحيتها ·· فى يوم جانى جواب من صاحبى ده بيلمح لى فيه برغبته فى الخطبة دى ·· كان ده أسعد يوم فى حياتى ·· قبلها ماكنتش راضى أصرح لزينب بشعورى ·· فى اليوم ده نويت أقولها ·· لقتها اتخطبت ··

قالت نادية بحدة : ماكنتش لسه اتخطبت ·· كان مجـــرد مشروع ··

ـ مشروع كان مقدر له النجاح لو انى كتمت اللى عندى ··

ـ ومشروعك انت ·· كان أولى تفكر فى نجاحه ·· لو كنت بتحب بصحيح ··

ـ كنت باحب بصحيح ·· وعشان كده فكرت فى سعادتها ومستقبلها هى ·· انت ماتعرفيش احنا عايشين ازاى · أنا ووالدتى وعزيزة بنقضى كل مطالبنا بخمستاشر جنيه ·· يمكن مايكفوش بنزين لعربية الدكتور عزت ·· اللى بيعيش حاضر لامع وقــــدامه مستقبل ألمع ·· زينب حتكون معاه هو أسعد ·· مهما كانت درجة الحب فهو لوحده مش كفاية ·· أنا مش أنانى وعمرى ماكنت أنانى·· فى أى حاجة ·· لما حد يغلبنى فى ماتش أهنيه من كل قلبى طالما كان هو أجدر بالفوز ··

بالطبع لم ألعب ذلك اليوم ·· لم يكن فى استطاعتى حتى أن

أمسك بالمضرب ٠٠ ظللنا طول الطريق فى عربة نادية صامتين ٠٠ وفى منزلى بدأت تحدثنى وكلها أسف :

ـ قد ايه انا زعلانه .. ياريتنى يومها ماقابلتك ..

ـ ماتضايقيش نفسك يا ناديه ٠٠ أنت قصدك كان مساعدتى ٠٠ اذا كان فيه حد لازم يلام فهو أنا ٠٠ الكل عارفين روح يسرى الرياضية ٠٠ عمره ماحاول يغتصب النصر من حـــد بالخشونة أو بالاحتكاك بحد ٠٠ كل النقاد الرياضيين قالوا انه فاز بالمركز الثالث لأخلاقه قبل براعته فى الملعب ٠٠ وأنا أدرى من دول كلهم بروحـه وأخلاقه دى من أول يوم شفته فيه ٠٠ فكان على انى اتوقع تكون روحه فى لعبة الحب ٠٠ هى هى فى لعبة الكورة ٠٠

ـ الغريب يا زينب ان الخطة فى حد ذاتها ورغم كل اللى حصل ٠٠ دايما بتنجح مع الناس العاديين لأن الحب ما هو الا أنانية ورغبة فى التملك ، وفشلها المرة دى كان برضه بسبب خطأ فى التقدير ٠٠ تقدير الروح والأخلاق ٠

يدى فى يده

ما الذى يوجد عادة تحت الطرحة البيضاء وتاج الفل والشعر المعقوص بعناية فى صالون الحلاق ؟ ٠٠ دائما خواطر حلوة ، واحلام بلون الورد ، وقد يتغير شكل الطرحة أو فورمة الشعر أو يستبدل الفل بالماس ولكن ٠٠ الخواطر الحلوة والآمال العذبة الوردية هى هى لا تتغير ٠

أما الليلة فالأمر قد اختلف ٠ فتحت الطرحة البيضاء وتاج الفل والشعر المعقوص بعناية فى صالون الحلاق كانت تتردد فى خيالى أسئلة عديدة ٠٠ ترى متى يكون الصدام الأول ولأى سبب سيكون الصدام الكبير ؟ بعد هذا الصدام هل سننفصل نهائيا ٠٠ أم سنكتفى بالانفصال المعنوى ؟ ترى أى لون من ألوان التعاسة سيلقى بظله على سماء حياتى ؟ ماذا سأجد داخل هذا السموكن الذى يجلس بجوارى ؟ وحش مفترس أم أرنب جبان ٠٠ حمار عنيد أم ببغاء ثرثار ٠ حيوان نهم أم انسان ؟ الشىء الاخير بعيد الظن جدا فالمقدمات لا تدل على ذلك !!

لو اننى قرأت هذا الذى يحدث لى فى قصة لسخطت على مؤلفها وأخذت عليه السلبية الشديدة التى خلعها على بطلة قصته ولكن ٠٠ يبدو أن القصص شيء والواقع شيء آخر ٠٠ أنا مثلا ٠٠ ماذا كان فى وسعى أن أفعل سوى أن أرتدى يونيفورم العروس دون أن أحس باحساسها وأجلس هكذا أعرضه على الحاضرات كمانيكان ينقصــها التدريب !!

هذه الحقيقة لم أتنبه اليها الا أخيرا ، وليتنى وعيتها من زمان اذن لوفرت على نفسى هذه الصدمة وعلى فمى تلك المرارة ، كان من السهل على جدا أن أعيها ٠٠ بل المفروض ٠٠ لقد تربيت فى منزل صعيدى من آخر أعماق الصعيد وأن كان يقع فى أحد أحياء القاهرة العريقة ٠٠ ان الأمر ليشبه سفارة لدولة فى أرض دولة أخرى ٠٠ فهى تتبع دولتها طالما كانت ترفع علمها وان لم نكن نحن نرفع أى علم ٠ كما أن أحدا لم يوفد لجدى رسميا هو الذى نزح من بلده فى الصعيد من تلقاء نفسه ، بعد حصوله على البكالوريا أحس أن البلد أصبحت أضيق من أن تسعه هو وشهادته الرفيعة ٠٠ تاركا وراءه أهله وعزاله وكل شيء ٠٠ لم يأخذ معه سوى حفنة كبيرة اغترفها من ٠٠ تقاليد الصعيد ، ورغم أن والدى لم ير الصـــعيد الا نادرا الا انه كان يطبق تقاليده بدقة ، ويبدو انها كانت ضمن الارث الذى تركه والده ! كان محصول ابى فى اللغة العربية كبيرا ولكن يبدو أن كلمة واحدة منها هى التى كانت تروقه أكثر من غيرها ٠ ممنوع ممنوع الدراســة للبنات ٠٠ ممنوع الخـروج ٠٠ ممنوع النوادى والسينمات ٠٠ ممنوع الزيارات ، ممنوع ٠٠ ممنوع ، قائمة أطول بكثير من قائمة ممنوعات الرقابة على الافلام وتلفت حولى فلم أجد أى شيء ٠٠ حتى لقد أحسست كاننى أسبح فى الفضاء قبل ليونوف بخمســة عشر عاما وأخـيرا تعثرت يدى بشيء فتشبثت به ٠ كان كتابا وقرأت كثيرا بنهم وتعمق كنت أملأ فراغى كله .. أو بتعبير

أدق وقتى كله بالقراءة ، فلا عمل بالخارج ولا بالداخل ٠٠ لم تكن أزمة الخدم قد عرفت بعد وكان منهم في المنزل «طورة» ٠ ومضت الحياة تسير وأنا غير ملقية بالى اليها ٠٠ كنت أعيش فى عالم خاص أو فى قوقعة صدفتاها من أغلفة الكتب ٠

وجاء يوم ٠٠ بدا عاديا فى كل شىء حتى نادتنى والدتى لتقول لى وظل من الخجل ـ لا أدرى سببه حتى الآن ـ يلون وجهها :

ـ مبروك ٠٠ تقدم لك عريس، بابا موافق عليه ٠٠ وستلبسين الشبكة بعد غد ٠

لذهولى استعدت الكلمات مرة ثانية حتى استطعت أن أهضمها .. ضحكت باستخفاف وخرجت من فمى الأسئلة متتابعة:

ـ من هذا العريس ٠٠ وماذا يعمل ٠٠ وأين رآنى ٠٠ ثم ٠٠ كيف اتزوجه دون أن أعرفه ؟

دقت والدتى الطيبة على صدرها :

ـ تعرفينه ؟

ـ طبعا ٠٠ هـذا شىء ضرورى لـكى يكون هناك تفاهم بينى وبينه ٠

ـ طول عمرك عاقلة ٠٠ أعقل من كل فتيات العـائلة ، لم تشكى يوما من « الحبسة » ولا حاولت أن تضعى المساحيق على وجهك من خلف ظهرى ٠٠ هل يأتى الجنون هكذا فجأة ؟

ـ جنون ٠٠ الجنون بعينه هو أن أتزوج شخصا لا أعرفه ، أليس محتملا أن تكون طباعنا مختلفة ٠٠ كيف نعيش سويا اذن ؟!

ـ ولكن بنات اعمامك السبع تزوجن جميعا بهذه الطريقة ٠

صحت باستنكار :

وهل أنا مثل بنات عمى ؟

ـ تظنين نفسك أحسن منهن ؟ .. لماذا .. على راسك ريشة ؟!

ـ لا ريشة ولا قلم ٠٠ ولكنى أنا أقرأ ٠

ـ يا للمكابرة ٠٠ وبنات أعمامك ٠٠ ألا يقرأن ، ألم يحصلن جميعا على الشهادة الابتدائية مثلك تماما ؟

ـ يا ماما لا أقصد القراءة بمعناها الحرفى ٠٠ يعنى أفك الخط ٠ ولكنى أقرأ ٠٠ أقرأ بمعناها الواسع ٠ القراءة التى تفتح المدارك وتوسع الأفق ٠٠ تثقف العقل وتضىء الوجدان ٠٠ القراءة التى تجعل الانسان يحلق فى أفاق أعلى بوساطة أجنحة من شعاعات أفكار الخالدين ٠

ـ اسمعى ٠٠ لاداعى لهذه الفلسفة ٠٠ كل هذا خارج الموضوع ٠

وفى داخل الموضوع ظللنا نتناقش أكثر من ساعة ، أمى طيبة جدا ، كان فى وسعها أن تصفعنى قلما أو تصيح آمرة أياى بالخرس، ثم تتبع صيحتها ببعض شتائم تركية ٠ ولكنها لم تفعل ، راحت تأخذ وتعطى معى فى الكلام حتى نبهتنى الى أمور لست أدرى كيف غابت عنى زمنا ، مع مضى المناقشة بدا منطقى القوى يتهاوى ولهجتى الغاضبة تميل للانكسار ٠٠ الأمر الذى جعل ردودها تصبح أكثر هدوءا ٠

ـ هذا الشخص الذى لابد أن تدرسيه قبل الزواج ، أين سيتم ذلك ومن سيكون ٠٠ زميل فى العمل أم صديق من النادى ؟! كيف كنت تفكرين أن يحدث ذلك ٠

ـ عجيب جدا ألا تفكرى فى هذا الأمر بينك وبين نفسك ٠ كل الفتيات فى سنك لا يشغلهن الا الزواج ٠

ـ ولا هذا أيضا ٠٠ اذا كنت أنت لا يهمك أو يضيرك ٠٠ أو

حتى يضايقك أن تمضى كل حياتك عانسا فالأمر عندنا يختلف ، لن يضيرنا فقط بل سينقص من مركزنا وكرامتنا وربما نال من سمعتنا أيضا ، كل ما ذكرته لا يساوى أبدا جزءا صغيرا مما يحتمل أن يسمعه أبوك من الأسئلة والقيل والقال ، واعملى حسابك بابا لن يتقبل هذا الأمر أبدا ولن تقنعه أسبابك .. هو نفسه تزوج هكذا ·· هل أنت أحسن منه أو منى ، سينتهى به الأمر أن يظن أن هناك شخصا آخر تعرفينه ، وأنت فى غنى عن فتح هذا الباب على نفسك·

ـ يابنتى أنا أعرف أباك أكثر منك اذا ســـارت الأمور على ما يرام فهو الأب والزوج الطيب الحنون المتفانى ، فاذا عارضه أحد فى شىء ثار واصبح شخصا آخر ··كلماته كالرعد وتصرفاته كطلقات الرصاص ، ولا توجد قوة على الأرض بمستطيعة أن تغير رأيا اقتنع به ·· هذا الزواج سيتم لامحالة ·· بالذوق أو بالاهانة ، فاختارى ما يروقك !!

فعلا لم أر أمى يوما تعارضه فى أى شىء ولا أحد من أخوتى ـ وكلهم ذكور ـ فهل أعارضـه أنا ؟! أه تذكرت أخى الأكبر ·· الاحظ منذ أعوام ـ وبالتحديد منذ التحق بالجامعة ـ أن والدى يتبسط معه أكثر منا ·· ربما أقنعه ·· هذا اذا أقنعت أنا أخى أولا سألته :

ـ هل ستتزوج ـ عندما تنوى الزواج ـ من فتاة لم ترها أبدا؟

ـ غير معقول ، أنت طبعا تعرفين أن تقاليدنا تختص جنسكم اللطيف بالجانب الاعظم من تركتها ، وبالنسبة لها هى ·· لعلمك ·· لن تكون صعيدية !

ـ وهل يرضيك أن أتزوج أنا هكذا ؟

قال بصوت خافت كأنه لا يرد على بل على ضميره :

ـ لم أضع أنا تلك التقاليد ·· فتحت عينى فوجدتها قائمة ·

ـ ولكنها تقاليد ظالمة ٠

ـ أنت أيضا ظلمت نفسك ٠ قرأت كثيرا ٠٠ يوما لفت نظرك الى أنك تقرئين أكثر مما يجب فتضايقت ٠٠ رأيت الآن أنه كان معى حق ، الكتب تحكى عن دنيا أخرى غير التى تعيشينها دنيا جميلة ٠٠ حية ٠٠ أظهر لك امتلاؤها مدى فراغ دنياك وسخافتها ٠

نعم والله ٠٠ صدقت ٠٠ كان معك حق ، كل الحق ٠٠ كانت هناك هوايات أخرى ضيعت بها بنات الأسرة وقتهن حتى تزوجن ، التريكو والازياء ٠٠ أصناف الطعام ٠٠ طهوها وأكلها مضغ اللبان ، الكوتشينة ٠٠ لعبها واستكشاف البخت عن طريقها ٠٠ هوايات تافهة لسيدات تافهات تزوجن رجالا أكثر تفاهة ولكن .. الكل سعداء ، كما كانت تقول لى والدتى دائما كلما رأتنى شاردة أفكر :

ـ لا تحملى الهم هكذا ٠٠ الحكاية ليست بهذا التعقيد ، من يدرى ربما تصبحين كبنات أعمامك وخالاتك كلهن تزوجن على غير معرفة سابقة وكلهن فى منتهى السعادة !

يا ماما أرجوك لا تقولى هذه الجملة أننى لا أريد أبدا أن أصبح كقريباتى ٠٠ بل أخشى ما أخشاه أن أصبح مثلهن ٠٠ الواحدة منهن لا تجد ما تفعله طول النهار سوى الحديث مع جارة لها عن باقى الجارات والقريبات وتقطيع فرائهن ، والتزين والخلع واللبس دون ملل ودون أن ينضب دولابها ، ثم الأكل الطيب حتى تترهل وتسير كجمل المحمل يحد من حركتها ثقل جسمها وثقل الذهب الذى يملأ ذراعيها من المعصم حتى الكوع والذى تتخلله بعض غويشات زرق منعا للعين ٠ لا تخرج من منزلها الا الى منازل بعض الدجالين ليتقرئوا لها الغيب عن السبب الذى من أجله يتأخر زوجها كل يوم حتى منتصف الليل ، هى لاتريد أن تسعد بطلعته البهية ٠٠ لا ولا أولادها التسعة ٠٠ هل سيزيدون اذا راوه ؟ بالعكس .. فهو كلما رآهم زجرهم . ما الذى سيفعله لهم ، هى

نفسها لا تفعل لهم شيئا !! كل الذى تريد أن تطمئن عليه أنه ليس فى نيته الزواج من أخرى عليها ، أما اذا كان يسهر فى القهوة حقا كما يقول فلا يهمها ٠٠ الخير يملأ المنزل حتى عتبته ويكفيهـا أنه يخرج ويدخل عليها هل يرضيك يا أمى أن أصبح مثل هذه الصورة؟

فى اليوم التالى جاءنى أخى متهللا وكأنه يزف لى بشرى :

ــ بابا وافق على أن ترى العريس قبل الزواج ٠٠ غدا سيأتى هو ووالدته وأخته ٠٠ شىء لم يحـدث فى تاريخ الأسرة كلهـا من قبــل !

ودهشت :

ــ من قال اننى اريد أن أراه ؟

ــ ألم تكونى تشكين لطوب الأرض ٠٠ ظننتك ستفرحين ٠

ــ بعقلك أنت ما الذى سأستفيده من رؤيته ؟ اننى لم أصل فى التمدن الى مثل زميلاتك بالجامعة ٠٠ تلك اللواتى يهمهن جدا شعر الرجل وقوامه ولون عينيه ، هؤلاء أخذن من الحضـــارة قشورها فلم يهتممن الا بالقشور ، أنا يهمنى فى الرجل آراؤه واخلاقه .. اتجاهاته .. نظرته للحياة .. تصرفاته .. افكاره ٠٠ طباعه قلت اننى أريد أن أعرفه لا أن أراه ٠

كان أخى يستمع لى باستنكار ٠٠ أخيرا صاح بغضب :

ــ ما شاء الله ٠٠ لماذا لا تقولين أيضا انك تريدين أن تحبيه ؟!

غلبت تقاليدنا التى تسرى فى دمه على عاطفته الاخوية وثقافته وتعليمه العالى ، أنت عندما تتزوج ستتزوج على حب ٠٠ لم أقلهـا ٠٠ احتفظت بها لنفسى ، ماذا سأستفيد من المناقشة ٠٠ أنا لست مثله ، وأيضا ماذا ينتظر أن أسـتفيد من مقـابلة ذلك الشخص ؟ هل سأستطيع أن أعرف شيئا عن شخصيته من أول مقابلة . هذا اذا حادثته ٠٠ ولكنى بالطبع لن أفعل ، هل أتحدث معه ووالدى موجود ٠٠ ؟ يا للهول !! قلت باقتضاب :

ـ لن أقابله ··

ـ هل ظننت أن بابا رتب هذه المقـــابلة لأجل خاطرك حتى تتنازلى عنها ؟ العريس هو الذى طلبها ووالدى لفـرط اعجابه به ورغبته فيه وافق ، وبالنسبة لك أصبح هذا مقررا ·· وستدخلين !

حملت صنية القهوة وأنا أحس بالمهـــانة واتمنى لو تبلعنى الأرض ، ولكنها لم تفعل ·· زمن المعجزات انتهى ، بعد تلك المقابلة أصبح أملى فى السعادة مع زوج المستقبل أضأل من ذى قبل ·· لا لم ينفرنى شكله ·· اننى تقريبا لم أره يومها ، حفظت رسوم السجادة وعدد الحيوانات المنقوشة عليها ، لم أر منه سوى قامته الفـارعة وأكتافه العريضة حين كنت أشيعه وهو خارج بنظرة حانقة ،هذا الرجل ·· ما الذى يجبره على أن يتزوج بهذه الطريقة ؟ أنا مضطرة ولكن هو .. بسنه ومركزه وشهاداته .. لماذا لم يبحث عمن يفهمها وتفهمه ، رغم تلك الشـــهادات فهو سطحى تافه التفـكير غالبا .. كل ما يهمه من شريكة عمره قوام ممشوق ووجه جميل وأسرة طيبة ؟ وهى نفسها فى طريقة معاشرتها ، كيف ستكون أكل هذا ليس له عنده وزن ؟ علام يدل هذا ؟ اكاد أكون موقنة الآن من شخصيته .. توجد ثغرة بسيطة يتسلل منها الأمـل فى أن يكون رحب الأفق ناضج الشخصية ولكن واحـدة ممن حصلن على الحرية قـد أساءت استخدامها أمامه فلجأ الى الجـاهلة الرجعية قعيدة البيت مضحيا بفكرة التقارب والتفاهم · اذن يكون القدر قد أعد لكل منا مفاجأة سارة ، وأى مفـــاجأة أن أجد أراءه وطباعه تتفق معى ؟ منعا من التفاؤل الذى قد يزيد من حجم الصدمة فاننى أكرر لنفسى دائما أنه أمل لا يزيد عن الواحد فى الألف ولكن ·· واحد من بضعة آلاف يشترون ورقة يانصيب يربح الجائزة ·· من يدرى اذن .. ربما « تضرب » معى !

الليلة بعد أن ينفض ذلك المولد وتحتوينى معه أربعة جدران

سيكشف لى عن قدر كبير من شخصيته والباقى سيتبدى على مدى الأيام ، أليس هذا غريبا .. منذ سنوات . وحتى ساعة واحدة وهم يضعون بينى وبين الرجال سدا عاليا منيعا ، ولو أن رجلا مهمـــا كانت قرابته لى لمسنى بيده لقامت القيامة .. وربما قتله أبى والآن سوف يضعوننى مع رجل غريب خلف باب مغلق .. يفعل بى مايشاء ترى ماذا ســـيفعل ؟ اننى خائفة .. خائفة حتى الموت ، يكاد الذعر يوقف دقات قلبى (بل ربما كانت كـــل الأفكار فيما كان هروبا من التفكير فيما سيكون حتى لا تبدو الرعدة واضحة على يدى .. والعرق غزيرا على جبينى ! أنا معـــذورة .. أهلى آفهمونى أن الرجال وحوش ، لم يقولوها مباشرة ولكنهم سقونى تلك الفكرة قطرة قطرة ، منذ كنت طفلة اقفز فى أوائل أعوامى ولم يكن على خروجى من المنزل من قيود .. كانوا ينبهون على دائما باللعب مع البنات والبعد كل البعد عن اللعب مع الصبيان ، ولا أنسى علقة من علقات والدى القليلة جدا فى حياتى لأننى خالفت ذلك يوما .

ماذا سيكون منه ؟ هل سيتصرف كحيوان ألقوا اليه بفريسة أم يحاول أن يطمئن قلبى ويهدهد خوفى أولا ؟ .. بالتفاهم أعطيه روحى وبدونه لن يحصل الا على النفايات ، فجأة علت دقات الدف ويبدو أنه كان فى ذلك علامة للجالس بجوارى فقـام ينهضنى ، ويأخذ بيدى لنسير . طارت كل الخواطر من رأسى .. لم يبق تحت الطرحة البيضاء وتاج الفل .. والشعر المعقوص بعناية فى صالون الحلاق .. سوى سؤال واحد ظل يتردد مع الزغاريد ودقات الدفوف الرتيبة .. طيلة الزفة وحتى أوصلونا الى باب غرفتنا .

هذا الرجل الذى يمسك يدى بيده .. ما الذى قدر لى معه ؟

ثم غابت الشمس

كان قرص الشمس الغاربة يفسح مكانا لألوان الأصيل ، وعلى الرمال الرطبة كانت ظـــلال الشماسى تمتد فى ساحات مستطيلة واسعة .. وراحت الأمواج توقع ضرباتها على الشاطىء فى عمق هادىء رتيب .

البحر خلا تقريبا من الشباب الصاخب الا من نفر قليل ٠

صافحت وجهى النسمات الباردة الرطبة التى أجدها دائما فى مثل هذه اللحظات على الشاطىء ٠٠ خاصـــة فى أواخر شـــهر أغسطس ٠

كنا ٠٠ أنا وصديقتى اخلاص ٠٠ وابنتها الكبرى هدى ٠٠ الفتاة الحلوة فى عامها السابع عشر ٠٠ نجلس فى بقعة قريبة من الشاطىء حتى يكاد رذاذ الموج أن يبلل وجوهنا ، وراح أولاد اخلاص الصغار يلعبون بجوارنا فى مرح .

قلت بمداعبة لاخلاص وأنا أتأمل أولادها فى اعجاب :

ـ برافو يا اخلاص ·· بنتين وولدين ·· حلوين خالص ·· ربنا يخليهم لك ·· انما كويس ان البنات طلعوا لك ·

والتفت الى هدى ·· ونظرت اليها طويلا ثم قلت :

ـ انما ·· هدى اللى أموره خالص ·· بس كمان ·· هادية أوى ·

وعلى الفور ·· وفى تنهيدة سريعة قالت أمها وهى تعتدل فى جلستها وتلوح بيدها ، كأنها تزيح عن عينيها شيئا غامضا :

ـ احسن ·· انا مبسوطة خالص ان هدى طلعت هادية ·

ثم اردفت وهى تنظر الى ابنتها فى تســـاؤل لا يخلو من حنان :

ـ مش كده يا هدى ·· ؟

وصمتت لحظة ثم اكملت موجهة حديثها الى :

ـ يعنى حتعمل بالشقاوة ايه ··

لم تجب هدى الا بشبه ابتسامة هادئة وتوجهت بنظرة ثابتة الى عينى أمها . ثم أشاحت سريعا ..

ولكن ·· لم يفوتنى ان ألاحظ البريق اللامع فى نظراتها وقد تشكل بمعان كثيرة احترت فى تفسيرها · لكنى أحسست ان هناك، بين نظرات الابنة وكلمات الأم ، يكمن شيء ·· وظلت الارتعاشـة الخفيفة التى سرت فى جفون «هدى» والابتســـامة المغتصبة التى ارتسمت على ركن من فمها تتراقصان أمام عينى كعلامات استفهـام محيرة ·

ركزت عينى على الأم ·· لم تكن جميلة جمالا محددا بالمقاييس

المعروفة ٠٠ بل كان جمالها مليئا بحيوية الروح وشـــباب النفس والجسد معا ٠٠ ورغم انها جاوزت الخامسة والثلاثين بقليل ٠٠ فان الناظر اليها لا يصدق اطلاقا انها ام لهذه الفتاة الشابة ٠٠ ان مرح اخلاص المتوهج كان يضفي عليها دائما نورا مشعا ٠٠ يتوج كل هذا اناقة فطرية ــ لا فى ثيابها فحسب ــ ولكن كل حركاتها ولفتاتهـا تتسم بهذه الأناقة أيضا .. ثم انها تبدو فى لحظات يســـيرة كصبية شقية عابثة لا تخلو من بعض الخبث .. لكنها مرغوبة محبوبة تشيع الرضا فى نفس كل من يجلس معها .

وانتقلت نظراتي الى الابنة ٠٠ ان هدى لا تقل عن أمها جمالا ٠٠ لكنها تختلف عنها روحا ٠٠ فى هدوئها وداعة ٠٠ فى نظراتها زرقة الســـماء الصافية .. كانت عيناها خاليتين تماما من الارتعاشات الساحرة التى تميز عينى أمها ٠٠ الارتعاشـــات التى تتركك تحتار فى تحديد لون العيون .. أهو ازرق ام أخضر .. أما أن حاولت ان تستشف اعماقها .. اعماق هدى .. فلن تجد امامك الا شفافية مضيئة داخل النفس .

ولا يسعك أيضا الا أن تحس بأن هنـــاك فى ركن من هذه الشفافية المضيئة يكمن ٠٠ بعض آلالم ٠

حاولت أن أخرج بهـــدى عن صمتها ٠٠ بأحاديث عادية ٠٠ ربما كانت أى فتاة فى سنها ترحب بها .. لكنى لم أظفر منها الا بكلمات بسيطة لا تزيد عن : «ايوه يا طنط » ٠٠ «فعلا يا طنط» ٠٠ « صح يا طنط »

تشابكت أفكارى ، حتى ملات نفسى ٠٠ خاصة أنى أحسست بطيف حزن يمر بعينى اخلاص كلما التقت عيناها بعينى ابنتهـــا العميقتين ٠

واحترت ٠٠ ترى ماذا يؤلم هذه الفتاة الشـــابة النضرة ؟ .. وما معنى كلمات أمها ان كانت ثمة تورية فى المعانى ؟

آه ٠٠ ترى ٠٠ هل تمر هدى بتجربة عاطفية ٠٠ تعرفهـــا أمها ؟ ٠٠

ثم ما معنى ٠٠ « أنا مبسوطة خالص أن هدى طلعت هادية »٠

هل معناه انها تطالبها بالهدوء وعدم الشـــقاوة بطريقة غير مباشرة أم ماذا ؟ ٠٠

قلت فى صوت مرح وأنا أتصنع الابتسام :

ـ فاكرة يا اخلاص لما كنت قد بنتك ٠٠ قد ايه كنت شقية ٠

وقالت اخلاص وهى تهز رأسها وتتنهد فى أسى :

ـ يا ريت يا ستى ما كنت عرفت حاجة اسمها شـــقاوة ٠٠ يعنى عملت بيها ايه ٠٠ »

وضحكت وأنا أقول فى سرعة :

ـ عملتى ايه ٠٠ انت نسيتى ٠٠ ؟

ـ آه ٠٠

قالتها وهى تنتفض واقفة وعيناها تتطلعان حولهـــا على الشاطىء فى حيرة .. وسرعان ما ابتعدت عنـــا لتعود بأولادها الصغار الذين كانوا قد اختفوا عن عيوننا ..

٠٠ بقيت وحدى مع هدى ٠٠ وراعنى منها سكوتها الغريب وجلستها المكورة داخل نفسها ٠٠ وعيناها اللتان سبحتا فى الفضاء ٠٠ وراعنى فوق ذلك تعليقاتها الصامتة على حديثى الأخير مع اخلاص ٠٠ فقد لاحظت أنها تنصت بانتباه الى حديثنا وقد اتسعت عيناها

مع هزة خفيفة من رأسها ٠٠ وخامرني احســـاس قوى بأن هدى تعاني حزنا دفينا ، تعانيه أمها معها ٠ ومن يدرى ٠٠ فلعل «اخلاص» هى سبب هذا الحزن ٠

ودون أن أدرى ٠٠ رحت أستعيد ذكرياتى مع اخلاص منــذ عرفتها فى باكورة صبانا ٠٠ كانت لا تختلف كثيرا عنها الآن الا فى مسحة من البراءة والطفـــولة تكسو محيـــاها ٠٠ ولم تكد تبلغ السادسة عشرة من عمرها حتى كان الدكتور توفيق عامر قد هام بها من أول لحظة رآها ٠٠ ويومها رحبت به أمها قائلة :

ـ هوه فيه أحسن من كده راجل تمام يعرف يهنيها ٠٠

كان الدكتور توفيق عامر طبيبا ناجحا عرف كيف يجمع ثروة لا بأس بها مكنت اخلاص ، فيما بعد ، من العيش فى بحبوحة ويسر ٠٠ وفى المرات المعدودة التى كانت تجمعنى الصدفة بها بعد زواجى كانت تبدو فى عينى سعيدة دائما ٠٠ واليوم جمعتنى بها الصــدفة أيضا بعد مضى وقت طويل على آخر مرة رأيتها فيها ٠

جاءت اخلاص تضحك فى مرح وهى تمسك أولادها بين يديها ٠٠ ثم قالت فى صوت متقطع الأنفاس ٠٠ وهى تضحك :

ـ الأولاد عفاريت ٠٠ جننونى ٠٠ لازم ألعب معاهم راكت ٠٠ كل واحد دور ٠٠ ياى ٠٠ قلبى وجعنى ٠

وابتسمت لها فى اعجاب وحنان كعادتى منذ ابتداء صداقتنا وقلت :

ـ سلامة قلبك ٠

ثم تساءلت كمن تذكر أمرا راح عن باله طويلا :

ـ ازاى الدكتور توفيق ؟ ٠٠

ـ والله زى ما هوه ..

وقلت فى انزعاج :

ـ يعنى ايه ؟

ـ انت معرفتش ؟

وفى الحال رأيت هدى تتركنا فى انتفاضـــة سريعة ، جعلت بعض الأسئلة تقفز الى ذهنى .. تتبعتها بعينى الى أن اختفت فى زمرة الصاعدين على السلم الموصل الى الكورنيش .. كانت خطواتها ثابتة .. وظهرها منكسا قليلا الى الأمام .. استقرت عيناى على اخلاص فى ثوبها الأبيض المفتوح الصدر .. الخالى من الاكمام .. وقد استلقت الى الوراء فى جلسة مريحة على كرسى مستطيل من كراسى البلاج رافعة ذراعيها فوق رأسها بينما امتدت اصابعهــــا البيضاء الرشيقة تعبث بشعرها البنى اللامع وقد أضافت اللحظات التى قضتها فى اللعب مع أولادها على بشرتها لونا ورديا بديعا ..

لفت نظرى على بطن ذراعها المرفوع « حلقـــة زرقاء » زادها البياض الصافى وضوحا .. وابتسمت فى صمت .. ثم واصلت التفكير فى الظواهر التى اجتذبتنى فى هذه اللحظات الوجيزة وقلت فى صوت لا ينم عما فى نفسى من حيرة ، وجاهدت كثيرا حتى لاتحس اخلاص انى أحاول اكتشاف سر النظرات المبهمة المتبادلة بينها وبين ابنتها :

ـ حد يشوفك كده ويقول عندك عروســـة .. ؟ الا ناوية تجوزيها امتى ؟

واعتدلت اخلاص فى جلستها كمن مسها تيار كهربائى :

ـ اجوزها ؟ .. ليه .. مش كفاية انا واللى شفته .. ؟

ثم أردفت وهى ترفع رأسها فى تحد ٠٠ وفى عينيهـا نظرة تأكيد .. وصوتها يحمل فى طياته ثورة ظاهرة :

– انا حاخليها لما تكبر وتفهم وتاخد واحد على قدها ٠٠

هزنى انفعال اخلاص ، وثورتها المفاجئة ، حتى احسست بكل ما فى ينتفض ٠٠ ورددت فى نفسى : « ٠٠ ماذا وراءك يا صديقـة الصبا ٠٠ ووراء ابنتك أيضا » ؟٠٠

ماذا وراء هذه الثورة فى صوتك ٠٠ وذلك الالم الذى يطل من عينى ابنتك ؟ وماذا وراء تساؤلك ٠٠ « مش كفاية انا واللى شفته » ٠٠ ترى ما هى الآلام التى تقاسينها يا صديقتى ؟ ٠٠

آه ٠٠ لقد راح عن بالى ان زوجك يكبرك بأكثر من عشرين عاما ٠٠ ثم انك مازلت شابة كابنة العشرين ٠٠ ولا بد أن زوجك قد صار الآن كهلا ٠٠ ترى ماذا آل اليه حال الدكتور توفيق ٠٠؟

وخيل لى أننى قد عثرت على طرف الخيط ٠٠ من يدرى ربما كان هناك من تقدم لطلب يد هدى ، وهى تعارض رغم ان الفتـــاة راضية ٠٠ ربما كان يكبرها أيضا ٠٠

– مقلتيش مال الدكتور توفيق ؟

وندت عنها تنهده حارة :

– بقاله عشر سنين عيان ٠٠ مضاعفات السكر وانســـداد الشرايين ٠٠ هلكته ٠

– يا خبر ٠٠ لكن انا شفتك من خمس سنين ٠٠ وما لاحظتش ان فيه حاجة تعباكى ٠

– ماكنش المرض تقل عليه كده ٠

ثم هزت رأسها فى سخرية :

ــ كان لسه صغير .. كان عنده خمسين سنة بس ٠

ــ يعنى كان بيقاوم ٠

ورددتها لنفسى مرة أخرى وانا اتجه بنظرى الى تلك «الحلقة الزرقاء» النائمة فى بطن الذراع البض ٠٠ ثم وجهت باقى سؤالى الذى دار فى ذهنى الى اخلاص :

ــ ودلوقت ؟

ــ ربنا ما يوريكى ٠٠ بقينا فى حكم قراقوش وأعصابه تعبانة خالص ٠٠ واللى زاد «بطلى ضحك ٠٠ كفاية خروج ٠٠ وطى صوتك» ٠٠ لولا ماما واخواتى بزوغ عندهم شوية كنت مت من زمان ٠٠

ثم أردفت فى حزن عميق ٠

ــ اسكتى يا عليه ٠٠ اللى أنا فيه ما حدش فيه أبدا ٠

وبدأت أحس أن اخلاص ستفضى الى بكل متاعبها وتريحنى من كل علامات الاستفهام التى كانت تدور برأسى ٠٠ فلم يكن من عادة اخلاص أن تخفى عنى شيئا ٠٠

واستلقت اخلاص مرة أخرى ورفعت ذراعها فوق رأســـــها ووقعت عينى على الحلقة الزرقاء ٠٠ قلت مواسية :

ــ معلهش يا اخلاص ٠٠ الحقيقة الدكتـــور طول عمره كويس معاكى ٠٠ هناكى خالص ٠

ــ ايامها الهنا كان مالوش لازمة ٠٠ كنت لسه صغيرة ٠٠

ورأيت الدموع تشق طريقها الى الخدود الجميلة ٠٠ واستطردت اخلاص فى أسى :

– دلوقت لما كبرت واصبحت محتاجة للهنا ‥ انتهى الدكتور وانتهيت انا معاه ‥

لم أجد من الكلمات ما أواسى به صديقتى ‥ ولم أستطع أيضا ان أسألها عما يكدر ابنتها بهذا الشكل الذى لاحظته ‥ واحترت ماذا أقول ‥ وجدتنى أطيل النظر الى الحلقة الزرقاء الواضحة على ذراعها ٠

وانتبهت اخلاص الى نظرتى وفى الحال ‥ امتدت يدها فى حركة سريعة مفاجئة الى ذراعها لتغطى الحلقة الزرقاء ‥ وقد ابيض وجهها وارتعشت شفتاها ‥ وانطلق صوتها مرتعشا :

– دى خبطة ‥

واندهشت جدا لارتياعها ‥ وتملكتنى احاسيس متباينة ٠

وبدأت تتوالد فى نفسى اسئلة مختلفة تماما ‥ عمل فكرى سريعا وقد احتلت نظرة الارتياع فى عينى اخلاص كل ذهنى ‥ لماذا ابيض وجهها بهذا الشكل كانها تخفى سرا أو خطأ وقعت فيه ؟ ‥

وسرح كل تفكيرى الى ‥ هدى ‥ بنظراتها الحزينة وصمتها الغامض ‥ وراحت عيناى تبحثان عنها ‥ رأيتها هناك على رأس السلم الموصل للبلاج ‥ كانت تجلس وحيدة ‥ ثم ابصرتها تهرع الى الرصيف ‥ كان الدكتور توفيق قادما مع خادمه النوبى ‥ وخطت هدى الى أبيها مسرعة ‥ ظلت نظراتى مشدودة اليهما ‥ الى هدى وابيها ‥ كان الرجل القادم مع هدى شخصا آخر يختلف تماما عن الرجل الذى عرفته يوم تزوج صديقتى ‥ فبرغم أنه كان يومها فى الأربعين من عمره ، الا انه كان ممتلئا شبابا وحيوية ‥ وامتلأت نفسى شفقة على الدكتور توفيق ‥ لم أكن

أدرى أن كر الاعوام وتكالب الأمراض وربما القلق أيضا ٠٠ يمكن أن يفعل بالانسان كل هذا ٠

قالت اخلاص ٠٠ بعد أن ساعدت زوجها على الجلوس ٠٠ فى صوت لم يخف عنى انها جاهدت فى سبيل اخراجه مرحا :

ـ فاكر يا دكتور صاحبتى عليه ؟

وصعقت عندما رأيته يبحث عنى بأذنيه ٠٠ غشى نفس الالم ٠٠ بل شعرت بقلبى يبكى بين ضلوعى ٠٠ لكنى قلت فى صوت حاولت ان أجعله طبيعيا :

ـ اهلا دكتور توفيق ٠٠ اهلا ٠٠

ومددت يدى قريبا منه ليستطيع لمسها ٠٠ شد على يدى وهو يقول فى صوت باسم :

ـ انت فين من زمان يا ست عليه ؟

لم أستطع الرد عليه ٠٠ كانت عيناى وكل حواسى مركزة على شفتيه ٠٠ شفتى الدكتور توفيق ٠٠ وقد انفرجتا عن طاقة خاوية ٠٠ عن فم بلا أسنان ٠٠ وبدون أن أشعر انتقلت نظراتى الى ٠٠ الى ذراع اخلاص ٠٠ وامتدت أصابعها سريعا أيضا تخفى الحلقـــة الزرقاء ٠

وأرخت اخلاص أهدابها الى الارض وانتهت جولة عينى الى وجه هدى ٠٠ كانت واقفة وراء أبيها ويداها على كتفيه تربتان عليهما فى هدوء وحنان ٠٠ بينما انطلقت نظراتها الى الأفق البعيد ٠٠ وقد انعكست آخر أضواء الأصيل فى عينيهـــا الحزينتين ٠٠ فى تلك اللحظة ٠٠ وفى العينين الحزينتين قرأت كل الأجوبة عن أسئلتى الحائرة ٠٠

لقد عرفت السر الذى يؤلم هدى ··

وسرى فى نفسى شعور طاغ بالرثاء والألم معا ·· على كان رثائى وألمى للدكتور توفيق فى محنته الأخيرة ·· انها محنة صحية فقط ·· فمن المؤكد أنه لا يدرى شـــيئا عن اخلاص ·· أما هدى فانها تقاسي الأمرين ·· انها موزعة بين عطفها على أبيها ·· وثورتها لخداعه ·· وبين حبها لأمها ·· وازدرائها لهذه الأم ··

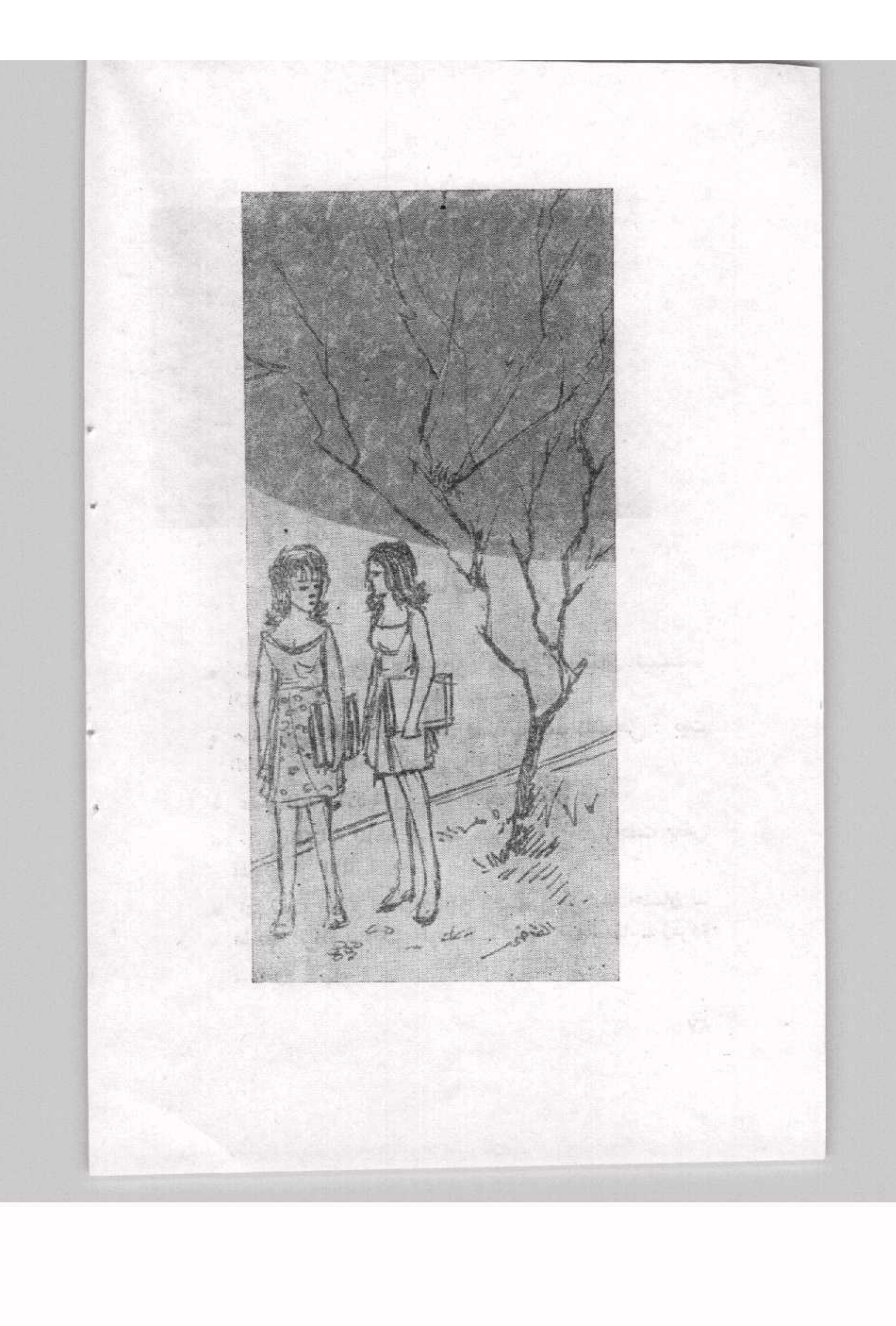
ان هدى ترى بعينيها كل شيء ·· وتركزت نظراتى على اخلاص فى وضعها الأخير وأهدابها ما زالت مرخاة الى الأرض ·· وتجمع كل ألمى ، وجزء كبير من رثائى لها ·· لاخلاص فى احساسها بالذل والهوان ·· والضياع ·· وتحول رثائى الى عطف عندما تذكرت تأكيدات اخلاص بأنها لن تترك ابنتها تعانى ما عانت هى ·· لن تتركها تتزوج الا من شاب يناسبها سنا ·· مهما كانت الدوافع ·· وقلت فى نفسى ·· « لك الله يا صديقتى ··

ونظرت الى الافق وانا اتنهد فى أسى وعمق ·· وكان قرص الشمس قد اختفى فى قلب البحر ·



نجيبة العسال

* نشر لها أول رواية عام ١٩٦٠ بعنوان « الأعماق البعيدة » التى ظهرت مسلسلة بمجلة الاذاعة ٠
* صدر لهـا ثلاث مجمـوعات قصصية بعد ذلك هي : بيت الطاعة ـ الغائبة ـ الحصى والجبل ٠
* عضو اتحاد الأدباء وجمعية ثقافة الأطفال ٠
* تهتم بالكتابة للأطفـال منذ عام ١٩٦٣ ، وترجمت بعض أعمالها الى الألمانية ٠
* لها تحت الطبع : الخروج من الصندوق ـ لمسة حنـان ـ الحائط الرابع ـ الكنز الموروث ـ هالة ٠٠ والببغاء ـ زمردة ـ أميرة اليمام ٠



لم يكن حبا

نبرات حانية ترتجف شفقة وخوفا ، انســابت الى اذنى فى هدوء :

ـ ايه ده يا ناهد .. اننى كنت سرحانه خالص .. يتهيألى انك ما سمعتيش أى كلمة من المحاضرة ٠٠ ؟

كنت أنا وليلى نسير فى شارع القصر العينى فى طريقنا من كلية التجارة ٠٠ كليتنا ٠٠ الى ميدان التحرير لنركب الأوتوبيس الى حدائق القبة ٠٠ فقد كانت ليلى جارتى وزميلتى فى الــكلية أيضا ٠٠

انتبهت لنفسى وقلت فى صوت خافت :

ـ فعلا ٠٠

وتساءلت صديقتى الوحيدة :

ـ وبعدين ؟

وأجبت فى صوت حزين :

ـ مش قادرة ·· مش قادرة أبدا يا ليلى ·· كل ما أشـــوفه واقف معاها ··

ونظرت الى ليلى ، وقالت وهى تضغط كلماتها فى حزم :

ـ اســـــمعى يا ناهد ·· سيبك من رأفت ·· ده لا ينفع لك ولا لغيرك ·· ده كل يوم والتانى يبتــــدى يعاكس واحدة ، طاوعينى مستقبلك اهم .

لم أرد عليها ·· لكن قلت فى نفسى :

فعلا ·· مستقبلى أهم ، ولكن ·· هل يمكننى أن أمنع نفسى من التفكير فى رأفت ؟

لا ·· مستحيل ·· لأنى أحبه ، ولا أدرى لماذا أحبه كل هذا الحب ؟

جاءنى صوت ليلى وكأنه آت من مكان بعيد :

ـ مفيش فايدة يا بنتى ·· نتكلم فى الأهم ·· حانذاكر فين النهارده ·· عندى واللا عندك ·· ؟

وبدون وعى أجبت :

ـ عندى ·· اذا سمحت ·

فى الأوتوبيس لم تحاول ليلى ان تنتزعنى من أفكارى ·· ولم أحس بالضجة من حولى ··

مضت سنة وأنا على هذه الحال منذ بدأ رأفت يتنكر لى ·· حاولت مرارا أن أبعده عن ذهنى ·· أو حتى أنسى أنى ما زلت

احبه ·· لكن لم أستطع ·· كانت محاولاتى كلها تبوء بالفشل ، وتسلمنى من جديد لصورة رأفت · يوم رأيته لأول مرة ·

كانت السماء تتلون صفحتها بلون واحد ·· أزرق صـــاف بلا سحب ·· كنت أحس بصفاء يسرى داخل نفسى وارتعاشـــة تضج بالفرحة تملأ روحى ·· انه أول يوم لى فى كلية التجارة ·· تفرق الطلبة والطالبات كل فى جماعة صغيرة تتناثر هنا وهناك فى الفناء الواسع العريض ·· كانت لحظة استراحة بين المحاضرات ·

انتقلت عينى بين الواقفين فى استطلاع سريع ·· ثم عادت مرة أخرى فى فضول الى حلقة تبدو أكبر عددا ، وأكثر صخبا ، وربما كانافرادها أقدم عهدا بالكلية ·

تقـــدمت خطوة ثم ثانية ·· وثالثة لأرى من قـــريب ·· ولأسمع طرفا مما يقال وله كل هذا التأثير على كل هــــذه المجموعة من الطلبة ··

قاومت فضـــولى هذا وأعطيت المجموعة ظهرى لتتجه أقدامى سريعا الى بوفيه الكلية ·

·· لكن فى اليوم الثانى لم أستطع المقاومة ورأيته فى وسط الحلقة ·· شابا ، وسيما ، مرحا ، يضج بحيوية فائقة ·· تسطع ابتسامته لا فى بريق عينيه وكل وجهه فحسب بل تنعكس أضواؤها على كل الوجوه من حوله واقتربت أكثر وســــمعته يقص بعض ما صادفه من مغامرات أثناء العطلة الصـــيفية ·· انتبهت فى هذه اللحظة على لكزة فى ذراعى وصوت ناعم يردد :

ـ ده رأفت ·· فى سنة ثانية ·· كان معـــايا لكن عدى ·· عفريت ·· واد شربات ·· وشعلة ذكاء ·

وقلت بصوت خافت وأنا مشدودة الى رافت .. بأذنى وعينى :

ـ باين عليه ..

كانت ليلى هى أول طالبة أتعرف عليها فى الكلية .. كانت شجاعة وجريئة .. وسريعة البت فى الأمور .. نحس من الوهلة الأولى بقوة شخصيتها وأنها انسانة يعتمد عليها .. ولولا تعارفى على ليلى منذ لحظـــاتى الاولى فى الكلية لانقضت مدة طويلة على انطوائى .. ومن حسن حظى اتضح أيضا انها جارتى .

بعد حوالى دقيقتين على وقفتنا معا .. كانت الحلقة فى طريقها الى الانفضاض .. وسرعان ما كان رأفت يحيى ليلى فى بشاشة :

ـ اهلا .. ازيك يا ليلى .. شدى حيلك بقى السنة دى .

وضحكت ليلى قائلة :

ـ طبعا لازم أعدى .. دى أول مرة أتأخر فيها .. ولا يمكن تتكرر .

ثم التفت الى فى ترحيب باسم .. وقال موجها حديثه الى ليلى :

ـ مش تعرفينا بالآنسة .. ؟ السنه دى باين عليها ســـنة حلوة ..

وضحكت ليلى وقالت فى سرعة وهى تركز نظراتها على :

ـ أنا شايفه كده برضه .. الآنسة ناهد السيد .

وقلت أنا وقد شعرت برغبة فى الحديث بلا كلفة :

ـ فتحى السيد ..

وأحسست فى هذه اللحظة بشعور غريب .. لم أحس اطلاقا

أن رأفت غريب عنى بل كأنى أعرفه منذ وقت بعيد ٠٠ أو أنى قد رأيته قبل ذلك وعشت معه ٠٠ لم تكن صورته غير مألوفة لدى ٠٠ وأحسست أيضا براحة تستتب داخل روحى .. ودهشت جدا فى نفسى لذلك .. بل انى سخرت من احساسى هذا وضحكت قائلة فى سرى «من يدرى ربما تناسخ ارواح .. كما يقولون» .. لكن مع مرور الوقت أصبحت عينى تبحث عن رأفت .. وأجد راحة كبرى وأنا أنظر اليه .. وتساءلت طويلا : ماذا دهانى .. ما سر اهتمامى برأفت .. هـــل هو الحب بدأ يغزو قلبى ؟ لا ادرى ..

وحاولت أن أقنع نفسى أن شعورى هذا ، ربما لا يكون أكثر من نزوة من النزوات العابرة التى كثيرا ما تصادف البنات فى سنى ٠٠ ثم سرعان ما تزول ٠

لكن حدث ما جعلنى أحس ان الأمر لا يمكن أن يكون نزوة عابرة ٠٠ بل هو شعور له صدى حقيقى فى نفسى ٠٠

كنت فى طريقى الى المكتبة لاستعير كتابا ٠٠ وهناك وجدته أمام أمين المكتبة يتسلم كتابا أيضا ٠٠ وارتبكت لسماعى دقات قلبى وفى صعوبة بالغة سيطرت على نبرات صوتى وأنا اطلب كتابى .. لأول مرة فى حياتى أحسست أنى انتفض بشعور جميل .

وعند خروجى من المكتبة وجدته واقفا فى الشرفة الواســعة التى توصل الى الدرج ٠٠ قال فى سرور ظاهر وصوت ودود :

ـ مش كنت تقولى انك عايزة كتاب محاسبة ٠٠ يا ستى أنا فى الخدمة بس أأمرى ٠٠

وابتسمت قائلة :

ـ متشكرة جدا ٠٠ ما أنا كنت با سلم كتاب تانى ٠

ونزلنا المدرج سويا ٠٠ التقت عينانا فى نظرة خاطفة أحسست بعدها بفرحة شاملة تلف كل كيانى بعد أن تركنى فى فناء الكلية الواسع ٠

بعد ذلك كان يسبقنى فى الخروج من الكلية ٠٠ ثم أجده منتظرا فى الطريق الى ميدان التحرير لنقطع الشارع فى خطوات بطيئة متمهلة ٠

ويوما قال لى فى بساطة :

– اسمعى يا ناهد ٠٠ احنا لازم نقضى يوم سوا ٠٠ نروح أى مكان ٠٠

وذهلت ٠٠ لكنى ؛ مع ذلك ؛ وافقت ؛ ولم أذهب فى اليوم التالى الى الكلية ٠٠ ذهبت معه الى احدى الحدائق البعيدة عن القاهرة ٠

كان يوما جميلا لا ينسى شعرت خلاله أنى أسعد انسانة ٠٠

وتكرر لقاؤنا ٠٠ وعشت أياما جميلة ٠٠ مرت سريعا ٠٠ ثم بدأ رأفت يتحول عنى ليتجه الى سعاد ٠٠ ثم الى فاتن ٠٠

لم يستمر حبه لواحدة أكثر من شهرين ٠٠ كنت أرى كل واحدة منهن لا تحزن عليه طويلا ٠٠ لكن مالى أنا لا أستطيع الفكاك منه ؟ أو التخلص من حبه ؟ ٠٠ ثم لماذا أعيش دائما على الأمل فى رجوعه الى ٠٠ وتشتعل النار في كيانى كلما رأيته مع احداهن ٠٠ أما حبه الأخير فقد طال عليه الأمد وبدا أنه لن ينتهى سريعا ٠٠ حبه لسامية ٠٠ فاتنة الكلية والزهرة التى يحوم حولها أكثر الطلبة ٠

قالت ليلى عندما وصل الأتوبيس الى محطة نزولى وأصابعها تهزنى فى رفق :

ــ الساعة خمسة ٠٠ بس تنامى شويه أول ما تروحى ٠٠

قلت لخادمتنا زكية عندما فتحت لى الباب :

ــ ماما هنا ٠٠ ؟

ــ أجابت فى هدوء :

ــ خرجت الصبح واتكلمت دلوقت ٠٠ قالت حتتغدى بره ٠

لم تكن هذه الاجابة جديدة بالنسبة لى فطالما عدت ولم أجدها ٠٠ كنت وأنا طفلة أبكى ٠٠ وأصبحت وأنا شابة أثور ٠٠ لكن بعد أن طرق الحب قلبى أصبحت ارتاح لعدم وجودها .. لأخلو لنفسى أكثر ٠٠ لكنى أشعر الآن أنى فى حاجة اليها ٠٠ سرحت طويلا على المائدة التى ضمتنى وابى الذى لم أسأل عنه ٠ فهو موجود دائما ٠ سرحت فيما آل اليه حالى بعد سفر مدحت أخى الوحيد الى المانيا لاتمام دراسته ٠٠ وبقيت وحيدة ٠٠ وحيدة مع أب هو والجمود سواء ٠٠ وأم لا أراها الا لحظات معدودة ٠٠ انها دائما مع صديقاتها تهرب من ابى وهدوئه القاتل ٠٠ وتركت المائدة وفكرى يعمل بلا هوادة ٠٠ لا أدرى لماذا كنت دائما أعطى الحق لأمى ربما لأنها فى بعض الأحيان كانت تفضل عن رغبة صادقة أن لا تمكث كل الوقت معنا فى البيت وأرى أبى سعيدا لهذا ٠٠ لكنه يود أن يظل جو المنزل كما يريد هو ٠٠ ساكنا خافت الضوء ٠٠ وهذا ما لا توافق أمى عليه ٠٠ كما أنه لا يرحب باستقبال أمى لصديقاتها فى منزلنا وكثيرا ما حدثت مشاحنات بينهما ــ بعد ذهاب الصديقات لذا ٠٠ كانت أمى تفضل أن تقضى أغلب أوقاتها فى الخارج ، رغم المشادات

العنيفة التي تحدث بينهما بسبب ذلك ·· وكثيرا ماناقشـــنا أنا ومدحت – أبى فى ذلك ·· فكان رده الوحيد الذى لا يتغير :

– أنا كرهت المرح والصخب من زمان ·· ياما هيصت وأنا صغير ·· دلوقت خلاص ·· الواحد لازم يعيش هادى ·

وكنت دائما أتســـاءل ·· ألا يستطيع الرجل أن يوفق بين ماضيه وحاضره ؟ ·· أليس من حق أمى أن تعيش كما يحلو لها ؟ ثم أليس من الواجب على أمى وأبى أن يحاولا التفاهم ويوفقـــا بين رغباتهما ويتركا لنا فرصة لنعيش بعيدا عن هذه الخلافات ·· ؟ وتمتلىء نفسى باليأس فتنهمر دموعى ·

* * *

جاءت ليلى فنظرت فى عينى طويلا وكررت سؤالها التقليدى ·· ولكن فى عصبية هذه المرة :

– وبعدين يا ناهد ؟ ·· الله ··

وكم من مرة أخرجتنى ليلى من افكارى التى كانت تهاجمنى على الرغم منى أثناء المذاكرة ·

مع المساء بدا منزلنا يصحو ·· سمعت صـــوتا رنانا خارج حجرتى ينادى على الخادمة ·· وغمر الضوء المنزل وتنهدت فى ارتياح ·· لكن سرعان ماجاءنى صوت ابى راعدا :

– يا زكية ·· اطفى النور واقفلى الراديو ·

ولم تقم زكية بتنفيذ الأمر .. ورأيتها بعين خيالى منكمشة فى ركن من المطبخ لا تدرى أتغضب سيدها أم سيدتها ..ويظهر أن أبى هو الذى وفر على زكية حيرتها ·· وعم الظـــلام المنزل ·· والسكون أيضا ·· وفى الحال جاء صوت أمى فى عصبية :

ـ ايه ده ٠٠ دى مش عيشة ٠٠

ـ يا ستى وانت مالك ومال العيشة دى ٠٠ ما انت بره على طول ٠٠ هى الدقيقة اللى بتقعديها فى البيت ٠٠ ؟

قالها أبى فى تهكم ٠٠ وأجابت أمى بمرارة :

ـ من ايه ٠٠ ما هو من الموت ده ٠٠ تفتكر الهدوء والسـكون المستمر ده معناه ايه غير الموت ؟

وقال أبى فى سخرية :

ـ بس الموت أحسن من الجنان بتاعك ٠٠

وانتشر الضوء مرة أخرى ٠٠ وكانت ليلة من ليالينا العتيدة ٠

***

اعتمدت رأسى بين يدى وجلست ليلى ساكنة بجـانبى ٠٠ وتركت الكتب جانبا الى ان مرت العاصفة وسكن منزلنا تماما داخل غلالة داكنة حزينة ٠٠ هكذا كانت حياتنا دائما ٠٠ كان يخفف من حدتهـا قليـلا وجود أخى بجانبى ٠٠ كنا نخرج سويا ٠٠ ونترك لهما المنزل .. أما الآن فليس امامى الا ان أجلس ساكنة تتساقط دموعى فى بطء . اعتذرت لليلى عن ضياع وقتها .. لكنها ربتت على كتفى فى حنان ؟

ـ ولا يهمك يا ناهد ٠٠ اوعدينى انك تنامى على طول ٠

لكن لم أنم ٠٠ ٠٠ وظللت أتقلب فى فراشى أردد سـؤالا واحدا ٠٠ « ماذا يمكننى أن أفعل » ؟

ولم جد لسـؤالى جوابا مقنعا ، الى أن أحسست بأثقال تهد

كل كيـانى حتى ذهنى ٠٠ وبدأت أنام داخـل دوامة كبيرة تلفنى بحلقات يتداخل بعضها فى بعض ٠٠ وتدور بى فى سرعة مخيفة ٠

اقترب موعد الامتحان وأنا على هذه الحال ٠٠ وفى صباح يوم كنت أتخذ طريقى خارج المكتبة ٠٠ عندما كان رأفت فى طريقه اليها ٠٠ وكاد قلبى يكف عن ضرباته ٠٠ ثم وجدتنى بعد أن نزلت الدرج أعود حيث أنتظـر خروجه من المـكتبة لأعيش معه بعيدا عن أعين الزملاء لحظة ٠٠ ربما تعيده الى ٠

ابتسمت فى نفسى ٠٠ وتتابعت أنفاسى لقرب خطواته منى وتطلعت اليه بنظرة مرحبة والهة ٠٠ ولكن فى منتهى البطء والتمهل ٠٠ مر بجانبى دون أن يلتفت الى ٠٠

مرت ثوان لم أستطع فيها أن أعرف حقيقة شـــعورى ٠٠ ثم امتدت يدى الى جبينى تمر عليه فى بطء ٠٠ وانتفضت فى زفرة حارة ثم وجدتنى داخل عاصفة صفراء كثيفة لا أستطيع الخروج منها وفى نفس اللحظة تتوالد فى نفسى أسئلة تصعد الى عقلى فى ثورة محطمة لا تهدأ ٠٠ سؤال تلو سؤال ٠٠ دون ان أستطيع الرد أو حتى التفكير فى شبه اجابة ٠٠ كان كل سؤال أقوى واضخم من سابقه : هل احبنى رأفت يوما ؟ وهل مثله يعرف الحب ٠٠ وهل ما كان بيننا يسمى حبا ٠٠ ؟ وهل كنت أنا أحبه ؟

ولم أدر الا وأنا أترك الكلية فورا ٠٠

لم أدر كم من الوقت مضى على وأنا فى تلك الغيبـــوبة التى عشت فيها ٠٠ لكن فتحت عينى على أبى وأمى وهما بجانب سريرى ترتسم على ملامحهما أقسى معانى الخوف والهلع والاشفاق ٠٠

أغمضت عينى ثم فتحتهما فى بطء ٠٠ ونظرت فيما حولى ٠٠

ثم انخرطت فى بكاء متقطع عنيف ٠٠ وحاولت أمى بشتى الطرق أن تعرف ما بى ٠٠ لكن لم أبح لها بشىء ٠٠ مر أسبوع وأنا طريحة الفراش ولا أدرى هل قصت ليلى لأمى قصة حبى الفاشل أم أن أمى بدأت تهتم بى وتقضى كل وقتها بجانبى ٠٠ ؟ لأنها أحست أنى فى حاجة اليها خاصة وأنا فى هذه السن سن الثامنة عشرة ٠٠ ربمـــا أحست أمى أنى أعانى من تجربة عاطفية ٠٠ ومن يدرى ربما أحس أبى أيضا أنى فى حاجة الى رعايته ٠٠ أصبح يرفه عنى بصـــورة واضحة ٠٠ بل انى دهشت عندما جاء يدعونى وأمى لقضاء يوم فى احدى الحدائق ٠٠ وبدأت أحس براحة طفيفة تسرى الى نفسى ٠٠ ثم أحسست باقى يومى بســـعادة صبيانية ٠٠ بالأخص عنـدما تصادف وجود بعض الأسر الصديقة لأمى ورأيتهـــا تمرح وسط صديقاتها وتضفى على الجميع مرحا جميلا ، واستعاد ذهنى فى الحال صورة رأفت كما تعودت أن أراه دائما ٠٠ وسط حلقة كبيرة من الطلبة ٠٠ وتداخلت الصور فى خيالى ٠٠ صورة أمى فى الحديقـــة بين صديقاتها ٠٠ وصورة رأفت بين اصدقائه فى فناء الكلية ٠

تداخلت الصور ومعها الأسئلة السابقة التى لم أجد لهـــا جوابا ٠٠ ولم أستطع أن أمكث دقيقة واحدة ، وتسللت فى بطء ثم سرعان ما كانت أقدامى الثائرة تقودنى الى حديقة بجانب النيل ٠٠ وهناك جلست واضعة ساقا فوق ساق واعتمدت ذقنى على راحة يدى ٠٠ وسرعان ماغبت عن كل ما حولى ٠٠ رحت أستعرض حياتى منذ وعت ذاكرتى الأحداث ٠٠ ووقفت طويلا عندما مرت أمام ذهنى صورة طالما تراقصت فى مخيلتى وكان يحلو لى أن استبقيها ٠٠ صورة أمى فى آخر حفلات العام الدراسى والكل ملتف حولها فى اعجاب ظاهر وزهوى بين صديقاتى الأطفال بجمال أمى ٠

وتراءت الصور سريعا وشدتنى صورة ثانية ٠٠ صورة رأفت

يوم رأيته أول مرة وعلى وجهه انطباعات ممتزجة من المرح والحيوية٠٠ وتلاشت فجأة الغمامة التى كانت تحجب عنى سر حبى لرأفت ٠٠ لم يكن حبا بمعنى الحب المعروف .. ان رأفت كان يمثل عندى الانطلاق والمرح والحياة الباسمة التى كنت أهفو اليها ٠٠ كان يعيد الى الصورة المحببة الى نفسى وأنا طفلة ٠٠ صورة أمي التى حرمت منها طويلا بسبب هروبها من جمود أبى ٠٠ كان حبى لرأفت تعويضا عن الحرمان الطويل الذى عشت فيه منـــذ طفولتى وانطوى داخل أعماقى وكانت كل هذه المعاناة الأخيرة لأنى خشيت أن أفقد صورة أعدتها الى نفسى دون أن أدرى ٠٠ أمي وأبى ٠٠ ان تناقضهما هو سر تخبطى العاطفى الذى أسلمنى الى صــورة رأفت ٠٠ وما كنت أنا بالنسبة لرأفت سوى احدى مغامراته العديدة ٠

فى خطوات قوية ثابتة صافحت قدماى الأرض الطرية الندية ٠٠ كان كل ما يمر أمام عينى يبدو لامعا نديا ٠٠ الأشجار الباسقة ٠٠ الأطفال وهم يلعبون فى مرح ٠٠ الأسر المتفرقة هنا وهناك ٠٠ يجلسون فى هناء ٠٠ الشمس وهى تلف الكون فى ثوب ذهبى خلاب ٠٠ حتى العرق المتصبب على الوجوه كان يبدو لامعا نديا ٠٠ وذهنى أيضا أصبح لامعا نديا ٠٠ تنتشر فى كل حناياه قوة انبثقت فجأة جعلت الراحة تتسرب الى جوانب نفسى ٠

بعد طول انتظار

هذا الدعاء الصاعد الى السماء دائمـا والأنفاس الحارة التى تزفرها أمى تلو دعائها والنظرة المستكينة الصابرة التى تلفنى بها فى حنو وحب كل هذا كان يثير احساسى بالغيـظ ويجعلنى كلما فكرت فى أمى او تخيلتها أمامى لا أتصورها أبدا منفصلة عن هذا الدعاء .

ـ ربنا يا بنتى يعدلها لك وأفرح بيك ·· يارب أنت عـالم بقلبى تسمع منى ·

وكنت أتحداها دائما ··

ـ يا ماما انت فاكره .. يعنى انى .. كبرت .. ؟

وتتنهد مرة أخرى وفى نظرتها المستكينة تتوجه الى :

ـ لا يابنتى مش قصدى ·· بس طلب العدل من ربنا حاجة كويسة ··

وأحيانا كثيرة كنت لا أستطيع السـيطرة على نفسى فانفجر قائلة :

– أنا مش عايزة أسمع الكلمة دى تانى ٠٠ هو ايه ما فيش عرسان ٠٠ فيه كتير لكن أنا اللى مش عايزة ٠٠ أنا يا ماما اللى مش عايزة ٠

وتنظر أمى الى فى نفاد صبر وتضغط كلماتها الغاضبة :

– ليه تقـدرى تقوليلى ليه ٠٠ مستنيه ايه ٠٠ تسـمحى تفهمينى ٠

واترك أمى بلا كلمة واحدة ولا نظرة واحدة فهى لن تؤمن بكلماتى ولن تحس معنى النظرة التى تعبر عن مشـاعرى وآمالى فكل ما تؤمن به أمى وترجوه لى من الحياة ٠٠ عريس ٠٠ زوج ٠٠ أى زوج ٠٠ المهم أن يكون زوجا مناسبا اجتماعيا وماديا ٠٠ لكنى كنت أبغيه زوجا آخر بالمرة ليس مناسبا فحسب ٠٠ بل حبيبـا وصديقا وزوجا ٠٠ أنشده قلبا يدق معى ٠٠ وروحا ترفرف حولى ٠٠ وعقلا يستمع لى ٠٠ ويدا حانية ممتدة الى قبل كل يد ٠٠ حتى يد أمى ٠٠ ودائما كان يمر أمام عينى شريط من قابلتهم فى حياتى أو بمعنى أصح منذ باكورة شبابى ٠٠ منذ بداية حياتى العمليـة التقيت بكثيرين ٠٠ منهم العاقل المفكر الذى تستهوينى طريقتـه فى التفكير وأرانى مسحورة بلباقة حديثة وغزارة معلوماته وأجد عقلى يسبح معه فى عالم فسيح من المعرفة وتبادل الآراء وعنـدما أبحث عن قلبى لا أجده معى انه بعيد عن عقلى يغط فى سبات عميق ٠٠ فصاحب العقل المفكر لا يملك قلبا يستطيع أن يوقظ قلبى من سباته ٠٠ وكثيرا ما دقت على بابى قلوب دون أن تحلته ٠٠ لأن الحياة تتطلب بجانب النبضات الخافقة معانى أخرى تساندها وتؤازرها

·· ورفرفت فى سماء حياتى معـان سامية رقيقة لكنها لم تهب لى الاحساس بالتلاقى الذى أنشده مع الرجل الذى أود الارتبـاط به وعبثا حاولت أن أقنع نفسى بأحدهم لكنى لم أستطع وآثرت الانتظار· وكان انتظارا طويلا يشوبه القلق والخوف ·· الخوف ألا أجده ·· ألا أجد الانسان الذى يشدنى اليه ويملأ قلبى وعقلى معا وكنت مؤمنة دائما بأنى ما دمت أفكر وأنقب وأبحث فمعنى هذا أنه لم يجىء بعد .. لم يجىء ولابد لى أن أنتظر وسألتقى به يوما .. حتما سألتقى به أن قلبى يحدثنى بذلك · ومرت أيام وأيام حتى أصبحت سنين طويلة .. لكنى لم التق به .. وكثيرا ما قالت لى صديقتى نادية زميلتى فى الشركة التى أعمل بها ، والوحيدة التى تعرف حقيقة ما تصبو اليه نفسى :

ـ انتى فاكرة انك حاتلاقيه ·· مش معقول ·· النوع ده غير موجود ·

وكنت أجيبها دائما رغم ما كنت أحسه من قلق فى أحيان كثيرة ·

ـ أبدا موجود ·· وأنا واثقة وعارفة انى حاقابله فى يوم ·· فى يوم مهما طال الزمن ··

ولكن لقد طال الزمن فعلا وكرت الأيام وتعددت دعوات أمى الضارعة وصارت نادية تطالعنى دائما بنظراتها العاتية الصامتـــة وأحسست أنى أكاد أتخـــاذل ومع ذلك لم أصارح أمى ولم أجعل نادية أيضا تحس بأنى قد بدأت اشعر بشىء من الضعف ازاء تحقيق أملى واننى أتشبث بشعاع ضئيل ما زال يسطع أمامى بين حين وآخر ..

ويوما قالت نادية هامسة :

ـ شايفة الشاب اللى خرج دلوقت ٠

وقلت بلا اكتراث دون أن أرفع عينى اليها ٠٠

ـ آه ٠٠ مش صديق المدير الجديد ٠٠

وأردفت نادية أكثر همسا :

ـ سهير خالى بالك ٠٠ ده واخد باله منك أوى ٠٠ وزياراته كترت جدا الأيام دى ٠٠

لم أرد عليها وأغمضت عينى تماما ثم تنفست ونظراتى تتركز فى الأوراق التى أمامى تعمل أصابعى فيها بسرعة أكثر ٠٠ لقــد هزت نادية وترا داخـــل نفسى ٠٠ لم أكن فى حاجة الى كلماتها الهامسة فقد لاحظت أنا ذلك أيضا بل انى أحسسته قبل أن ألاحظه ٠٠ أحسسته منذ التقت عيناى بعينيه أول مرة عندما جاء يسأل عن مكتب مديرنا الجديد ٠٠ لحظتها طالت نظراته الى وشعرت بهـا تسبح فى وجهى وتتركز فى عينى تود ان تنفذ الى داخل نفسى ويالدهشتى فى تلك اللحظة لقد وجدتنى فجأة أكاد أهز رأسى أمامه لأبعد عنها ذلك الخاطر الذى انبثق فى ذاتى وكأنه جرس صغير يرن فى صــوت خافض ثابت ٠٠ انه هو ٠٠ هو من تبحثين عنه طيلة أيامك ٠٠ وكدت أيضا أضحك من نفسى لهذا العبث الذى تلاعب بأعماقى وتماسكت وأنا نهب لكل هذه المشاعر العابرة السريعـــة ولم ألبث حتى كنت أقود الزائر الشاب الى مكتب المدير الجديد ٠٠ لكنى لم أترك المكتب دون أن ألقى نظرة أخرى عليه وشد ما راعنى أن كان هو أيضا ٠٠ يختلس نظرة الى ٠٠ ساعتها غمرنى احساس كامل لم يستمر أكثر من ثوان معدودة ٠٠ احساس ملأنى بالتساؤل لعله ٠٠ فعلا هو ٠٠ هو من انتظرته طول عمرى ٠٠ لكن لا ٠٠ لا لن أجعل هذا الاحساس وذاك التساؤل يتمكنان منى ٠٠ هل

جننت ؟ انى لا أعرف حتى من هو وما سبب زيارته لمديرنا ٠٠ هل هو صديقه وهل سيحضر مرة أخرى وما يدرينى عن حقيقة نظرته تلك ٠٠ من يدرى لعلها لا تزيد عن أى نظرة لأى فتاة تقابله ومعذلك لم تترك خيـــالى تلك النظرة التى هزتنى والتى حاولت أن أؤكد لنفسى أنها عابرة ولا تعنى شيئا بالمرة ٠٠ والآن لقد مر أسبوع واحد منذ لقائنا الأول ٠٠ منذ تلك النظرة التى ظننتها عابرة وبات مؤكدا أنها لم تكن عابرة ٠٠ لقد بدأ « رشدى » بعدها يتردد على صديقه كل يوم أو يومين تقريبا واكتشفت فجأة أنى أتعمد أرجاء دخولى بالأوراق التى تحتاج الى تأشيرة المدير الى الوقت الذى تعود الحضور فيه أو بعد حضوره مباشرة وبت أتعمد أيضـــا البطء فى تقديم الأوراق حتى أستطيع الالمام بكل ملامح شخصيته القوية ، وراحت أذنى تلتقط كلماته مع صديقه بمنتهى الوعى وكانت كل أحاديثه تدل دلالة لا يتخللها شك على أرائه الحرة ومبادئه السليمة و ٠٠ من خلال كل هذا كانت عيناى تلتقى بعينيه فى نظرات عميقة وان كانت خاطفة ٠

صارت دعوات أمى لا تثير غيظى بل لقد اصبحت أدعو معها فى سرى على شرط أن يكون هو ولا أحد سواه ٠٠ مهما صبرت ٠

لم أصارح نادية بكل هذا وطرقت موضوعات أخرى أحول بها نظرها ٠٠ عن ٠٠ حبى ، فقد ملأنى شعور عميق ٠٠ احساس جارف استولى على جعلنى أود لو أستطيع أن أخفى حبى وحبيبى عن كل العيون ، لا أدرى ما سر هذا الشعور لكنه كان أول مرة ينتابنى فكثيرا ما خيل لى أنى أحب لكنى لم أفكر اطلاقا فى أن أخفى ذالك وكانت الأيام تتكشف دائمـــا عن أن ما أهلل له ٠٠ لا هو حبى ولا حبيبى ٠٠

من يدرى لعلنا لا نخشى ولا نخاف الا على ماكان حقيقيا وأصيلا ومتمكنا من اعماقنا .

مر أسبوع آخر كنت أحس خلاله بكل أوتار روحى تعزف مع أوتار روحه وكل الأصوات فى داخلى تهتف بأنه هو .. هو ولا احد سواه .. قد جاء بعد طول انتظار ..

ولم يتركنى أنتظر أكثر ففى صباح يوم جاء مبكرا عن عادته ولم يدخل مكتب المدير بل اقتحم مكتبنا وهو يلقى علينـــا تحية الصباح أنا ونادية ثم يسحب مقعدا بكل هدوء · وجلس بجـــانب مكتبى وحدق فى عينى لحظة وأحسست بأنفاسى ترتجف ثم انبرى رشدى قائلا بصوت ثابت مفعم بالحنان والثقة :

ـ يا آنسة سهير ·· أظن ما تعرفيش أنى جاركم ·· ؟

وقلت فى دهشة وأنا أحاول السيطرة على أنفاسى :

ـ لا ماعنديش فكرة ··

وابتسم وعيناه تحنوان على أكثر :

ـ لأ أنا جاركم من زمان ·· بس انت مش واخده بالك ·· أنا عارفك كويس ·· كويس جـــدا ويسعدنى النهـارده ·· أنى ·· أتقدم بطلب ايدك ··

ولم أتمالك نفسى ·· صحت فى رجفة :

ـ ايه ده على طول كده ·· مش معقول ··

ـ ليه مش معقول ·· أنا مقتنع بك تماما وعندى احساس·· انك مش بعيدة عنى أبدا ··

ـ أيوه ·· بس ··

ـ تقدرى تسألى مديرك عنى وكمان الكارت بتاعى أهوه ٠٠ للعائلة ٠٠ لازم اخواتك يعرفوا عنى كل حاجة قبل ما آجى عندكم٠٠

وقرأت الاسم دون أن تمتد يدى الى ٠٠ الكارت ٠٠ محمد رشدى ٠٠ وكانت المرة الأولى التى أعرف فيها حقيقة وظيفته ٠٠ مهندس بالمصانع الحربية ٠ وطالت نظراتى اليه ثم خفضت منهـــا لحظة ٠٠ ثـم رفعت عينى اليه مرة أخرى وهو يردف مكملا كلماته الثابتة وان تسللت اليها ابتسامة سعيدة :

ـ بس أرجو أن الاجراءات دى تخلص بسرعة ٠٠ ما فيش وقت ٠٠ فاضل اسبوعين بس من اجازتى ٠٠ أظن نقدر برضـــه نخلص فيهم كل حاجه ٠ وصمت برهة وأنا أحول عينى عن عينيــه النافذتين ولكن كانت نبراته الصادقة قد سرت فى كل نفسى ٠٠ لم أتناول ٠٠ الكارت ٠٠ منه وظلت يده ممدودة به برهة و ٠٠ وعادت عينـــاى الى عينيه وابتسمت وأنا أهتف من قلب وجد نفسه بعد طول ٠٠ انتظار ٠٠٠

ـ مافيش داعى للكارت أنا حاقوللهم عليك ٠

وانتصر الحب

فى عصر يوم جاءتنى روحية ترجونى فى دلال ان أخرج معها كعادتنا أحيانا للسير على الأقدام قبل الغروب وكنت في هذا اليوم لا أشعر برغبة اطلاقا فى الخروج ولا أود مصاحبة روحيـــة او حتى رؤيتها ..

وروحية هى صديقة الطفولة وزميلة الدراســـة المبكرة . وجارتى ورفيقة صباى رغم ما بيننا من فروق فيما تكنه كل منا للناس وللحياة وما تعتنقه من مبادىء وآراء . وقد كنت وانا صغيرة لا أشعر بكل هذه الفوارق ، بمرور الأيام أصبحت انفر من بعض تصرفاتها وطريقتها فى مواجهة الحياة ، ورغم هذا فلم أستطع أبدا التخلص من رفقتها ، بل كنت دائما مشدودة الى.. صحبتها ..

خرجنا أنا وروحية وسرنا مسافة قصيرة فى طريق خلوى هادىء يقع فى طرف مدينتنا التى تبعد عن القاهرة بحوالى ثلاثين كيلومترا .. وهى مدينة معروفة بجوها المشمس الدافىء وناسها

الطيبين البسطاء . وكانت روحية مرحة ثرثارة كعادتها ، ولكنى كنت أسير داخل اطار من الصمت والكآبة لا اقدر معـــه على مجاراتها في مرحها وثرثرتها .. ولم أحاول أن أخفى عنها كآبتى فقد خرجت عن صمتى فجأة لأقول لهـا فى صوت هـادىء وأن شعرت به مملوءا بالتحدى :

ــ وبعدين .. ؟

وقالت سريعا وهى تلتفت الى :

ــ فى ايه .. ؟

ــ مش عارفة .. ؟

وهزت رأسها فى براءة رغم البريق الخبيث الذى ظهر وخبأ سريعا فى عينيها :

ــ ابدا ؟؟ مش عارفة حاجة أبدا !! وحياتك يا سهير ..

وتوقفت قدماى فجأة وقلت فى حزم وأن حاولت أن أخفف من لهجتى القاسية :

ــ روحية .. عماد غير كل الشــبان اللى عرفتيهم .. ثم ما تنسيش انه ابن خالى ..

وضحكت فى نغمة ذات معنى :

ــ ابن خالك .. والا .. ؟

وتنهدت فى جدية :

ــ روحية .. عماد مش قدك ..

لم تجـــاوبنى ولكنها ضغطت على يدى وهى تنـــظر بعيدا ناحية المدينة وقالت مهللة :

ــ ولا يهمك .. بصى .. بصى هناك .

وكانت عربة عماد الصغيرة السوداء قادمة نحونا ..

وتنهدت قائلة :

ــ أنا برضه كنت عارفه كده .

ــ طيب وزعلانه ليه .. هو انت يعنى ..

وقلت بسرعة :

ــ لا أبدا . عماد زى أخويا تمــــام .. بس انتى عارفه النهاية المعهودة وعماد صادق فى كل تصرفاته .. النهايةحتكون صعبة عليه يا روحية .

وابتسمت فى زهو قائلة :

ــ ولا يهمك .. أنا حا أكون جنبه ..

امتلأت نفسى بالأسى .. فى اللحظة التى كان فيها عماد يوقف سيارته أمامنا وملامحه ترحب فرحة بلقائنا .

وجلست روحية بينى وبينه وانطلقت العربة فى الصحراء الممتدة غرب مدينتنا .. ذهبنا لنرى المياه المعدنية وقد تفجرت فى ثورة بللورية صافية من داخل ربوة مرتفعة واتخذت طريقـــا منحدرا متعرجا خلابا لتتجمع فى بحيرة صنعتها الطبيعة فى قلب الصحراء .. وسبحت بنظراتى فيما حولى .. كانت هنـــاك جماعات تتزاحم لترتوى من المنحة الغنية التى تعطى بسخاء ، والبعض يقف بعيداً يرقب جمال الطبيعة الصافية ليروى النفس والروح بذلك الجمــال لأخاذ تنشره موجات محمــلة بالذرات الرطبة .. وكنت مع الواقفين بعيدا .. تشد الصحراء المترامية ناظرى برهة ثم تتركنى لمواكب السحاب . مواكب تودع الزرقة الصافية لترتمى فى أحضان الذهب المصهور .. ثم ترتد عينى

لتصافح المياه المتفجرة حتى لأكاد ارتوى منها وانا بعيدة عنها .. وتروح عينـــاى تتبع الجماعات هنـا وهناك ، لتستقر أخيرا على روحية وعماد وهما يمرحان فى نشوة وقد خلعت روحية حذاءها وسارت مع المرح داخل المياه فى المنحدر وعماد يأخذ بيدها ويخطو معها وضحكاتها تعلو على كل الضحكات . وتثبت عيناى عليه طويلا ونفسى تلمس الســـعادة التى تمـلأ كل وجدانه لتنقلب الى غصة كبيرة تملأ كل أعماقى .. غصة لا أدرى مبعثها .. ؟ هل هى اشفاق على عماد أم اشفاق على نفسى .. ؟ حتى لقـــــد أحسست رغم الصحراء المنبسطة امامى ورطوبة الذرات المتناثرة حولى بأنى سأختنق ، وزاد من شعورى بالاختناق ونحن فى طريق العودة تلك الكلمات الحانية التى كان عماد يخاطب بها روحية ٠

ـ انت حرانه يا حبيبتى ٠٠ أرفع سقف العربية ٠٠

وتنثنى روحية فى صوت حالم :

ـ لا مش مهم .. كفايه تفتح القزاز .

وأروح أنا فى دوامة أتذكر اللحظات التى كنت أعيشها دائما فى بيت روحية بين عائلتها ٠٠ تلك اللحظات التى كانت تعقب رفض أى انسان يتقدم لخطبة روحية .. والأب يرد قائلا :

ـ مش ممكن مهر روحية يكون أقل من خمسميت جنيه .

وتهتف الأم فى شدة وثقة :

ـ والله ابدا .. هى كلمة واحدة .. يا خاتم سوليتير .. يا يروح يشوف واحدة غيرها .

ويصيح الأخ بفطرسة :

ـ أنا عايز أعرف الكلام ده ليه .. قبله شهادته ايه .. ؟

ثم ينظر الى الاب تارة والى الام تارة اخرى وهو يقلب شفته السفلى باحتقار :

ـ مش كفاية الجهلة اللى فى العيلة ..

وتطيب أمه خاطره :

ـ أبدا وحياتك .. كفاية عزيزه وعديله .. كمان روحية؟؟ لأ مستحيل .. طيب زمان كان غصب عننا لكن دلوقت فيه ايه يغصبنا ..

ويذهب عريس ويتقدم آخر ولا يتقدم أحد ممن تتوافر فيه الشروط المطلوبة .. لم يتقدم لطلب يد روحية غير شباب مدينتنا ذوى الدخول المتوسطة والحسب الطيب البسيط ، اما العائلات المرموقة وشبابها المثقف فلم ينسوا أبدا أن والد روحية كان الى وقت قريب «عم الحاج مدبولى ابو السعد » البقال ، أما ما وصل اليه بعد انتهاء الحرب الثانية وما جمعه من أموال فلم يشفع له فى مصاهرة العائلات المعروفة بحسبها ونسبها .. وفى سبيل العريس المطلوب كانت روحية لا تتوانى عن طرح شباكها هنا وهناك مما جعل اسمها يرتبط بأكثر من شاب وبأكثر من مغامرة حتى تعددت المغامرات وقل عدد من يذهبون الى أبيها خاطبين وهى لا تكف عن طرح شباكها . ووقع عماد فى حبائلها وبت أشفق عليه من النهاية المحتومة عندما يذهب الى أبيها خاطبا . ولم أكن أدرى ماذا أفعل .. ولا لماذا أشفق عليه ، بل أشفق على نفسى . هل لأننى حتما سأعانى معه عندما يصدم بالرفض أم لأنى حتما سأرفضه بعد ذلك .. ؟

تركنا روحية قبل منزلها ببضعة أمتار وجاء عماد معى الى منزلنا وانتحيت به فى ركن من الشرفة ثم تساءلت وكلماتى تكاد ترتد الى صدرى :

ـ عماد .. انت بتحب روحية .. بصحيح .. ؟

وقال سريعا وكأنه ينتظر سؤالى :

ـ ودى عايزه كلام يا سهير .

وتنهدت فى بطء :

ـ وناوى تعمل ايه .. ؟

وفى منتهى البساطة والثقة أجاب :

ـ اخطبها طبعا ..

ولم أحس بأنفاسى ، كأنها قد جرت بعيدا ثم تمالكت نفسى وقلت فى هدوء متردد :

ـ عماد .. أنا بنت خالك .. وروحية .. صاحبتى .. انت زى أخويا يا عماد ويهمنى راحتك وأحب تفكر شــــوية فى الحكاية دى .

وبدأ الغضب يسرى فى نبراته :

ـ يعنى ايه .. ؟

ـ تحب أقول لك .. ؟

ـ طبعـــا ..

وخرج صوتى ثابتا متزنا :

ـ شوف يا عماد .. حقيقى انت مبسوط ودخلك مش بطال لكن بالنسبة لك لوحدك .. انما لما تتجوز راح تحتاج لأكتر من كده .. وأنا من رأيى انك تبتدى فى أى عمل حر يكبر على مر الأيام .. وينفعك .

وأجاب فى غضب وهو لا يدرى أن دبلوم التجارة المتوسطة الذى يحمله لا يعنى شيئا بالنسبة لعائلة روحية :

– يعنى مرتبى وايراد البيت مش كفاية .

– يمكن لو كانت أى بنت تانية غير روحية .. لكن روحية مستوى حياتها في بيت أهلها وكمان مطالب أهلها حاجة تانية .. الحكاية مش سهلة يا عماد .

ورفع رأسه فى ثقة :

– هى بتحبنى وقطعا راح تقف جنبى وتخفف عنى مطالب أهلهـــا ..

وصمت تماما .. لم أصارحه بما أعرفه عنها وعن أهلها.. لم أقل له أنها لا تحبك بقدر ما تتسلى بك وبقدر ما ترضى غرورها بكثرة خطابها ، ولكنى لم أصمت طويلا فقد رحت أبث فيه روح الكفاح ليدعم مركزه ، وما زلت به حتى أقنعته أن يستغل المبلغ المتخصص للزواج فى نظره والذى لا يغطى ثمن الشبكة فى نظـــر عائلة روحية .. اقنعته أن يبدأ به عملا حرا عسى أن يضاعفه عشرات المرات ويصبح المال شفيعا له أمام عائلة روحية .. عن الشـــهادة الجـــامعية .. وبالفعل افتتح عماد فى القاهرة مكتبا للاستيراد والتصدير بمعاونة صديق له يملك من الخبرة ما يؤهله لادارة هذا المكتب . وتناسيت مشاعرى تماما أو هكذا خيل الى واندفعت فى تشجيع عماد ورحت فى نفس الوقت أحـــاول مع روحية كى تكف عن استهتارها وعن بث شباكها هنا وهنـــاك ، ولكن واحدا من أولئك الذين يوجهـــون كل جهـــودهم للدرس والتحصيل كان قد جاء الى مدينتنا ليقوم بأحد الأبحاث العلمية ورأى روحية وفتن بها وهؤلاء الباحثون لا يبحثون كثيرا فى دنيا النساء ، ولا يناقشون عواطفهم كثيرا .. ولذا فسرعان ما ذهب الى بيت روحية خاطبا .. وسمع عماد بالخبر وطار هو الآخر الى

الحاج مدبولى ، ولكنه قوبل بنظرة تقيسه طولا وعرضا ،واجابة باترة من الأخ المتغطرس الذى قال :

ـ احنا عارفين أنك تقدر تقدم المهر والشبكة .. لكن احنا كمان ما نقدرش نرفض واحد معاه دكتوراه فى الجيولوجيا ..

واختفت روحية تماما .. لم يظهر أى أثر للحب الذى كان عماد معتمدا عليه .

وأعلنت خطبة روحيــة على الباحث الكبير .. وتراقصت أضواء خافتة داخل صدرى تعلن لى عن حقيقة مشاعرى لعماد .. ولكن كان يؤلمنى تلك الآثار الواضحة التى تعكس شدة صدمته بعد خطبة روحية لغيره ، وانعكست هذه الآثار على المكتب الذى أصبح فى طريقه الى الضياع بعد أن فقد صاحبه الحافز الحقيقى للكفاح . ولم أدر ماذا أفعل .. انى أحب عماد ولن أتخلى عنه مهما حدث .. ولكن ما الطريقة التى أنقذه بها .. أنا التى كنت أعرف مقدما كل ما حدث وما كان ايعازى له بانشاء هذا المكتب الا ليكون بمثابة شاطىء النجاة عندما يصدم فى حبه وكرامته .. ولكنى لن أتركه يتحطم .. هناك من يقول .. لا يذهب بألم الحب الا نشوة حب جديد ، ولكن عماد كان فى حالة لا تسمح له حتى بالنظر في وجه أمرأة .

لقد كانت روحية أول حب له ، ومهما حاولت فان أمنع الألم من نقش حروفه فى أعماقه . ليترك أجمل ذكرى .. ذكرى الحب الأول .. ولم يسعنى الا تركه بعض الوقت وأنا وراءه أراقبه من بعيد وكلى ثقة فى أن حبه لذاته وللحياة سيكونان أكبر حافز له على الصمود ..

وبالفعل اجتاز عماد الأزمة وان بقيت آثارها متمثلة فى ظلال من الكآبة تشوب محياه مع سحابة قاتمة تبدو فى نظراته من آن

الى آخر وارتسم على شـــفتيه اصرار عجيب يؤكد أنه لن ينطق بكلمة حب لأنثى مرة أخرى .. لكنى هززت رأسى فى صمت وأنا أنتظر .. وزارنا عماد يوما بعد غياب طويل وتناول طعـام الغداء معنا ثم جلسنا فى الشرفة كعادتنا بعد أن تركنا أخى لغفوة القيلولة وفجأة قلت بمرح وعيناى فى عينيه :

ــ ايه ياسى عماد .. فين من زمان .

ودون اكتراث أجاب :

ــ أبدا كنت مشغول شوية .

ــ وأخبار المكتب .. ؟

وهرب بعينيه وهو ينظر بعيدا :

ــ لا ولا يهمك كله يتصلح ..

وجاءت اللحظة التى انتظرتها طيلة الشهور الأخـــيرة ، وعرضت عليه فى لباقة أن أسحب بعض نقودى المدخرة فى صندوق التوفير منذ وفاة والدى ، خاصة وقد بلغت سن الرشـــد ، ويمكننى أن أتصرف فى مالى كما أبغى ، وذلك بحجة أنى أود أن استغل بعض رصيدى فى أعمال تجارية ولن أجد خيرا منه للقيام بذلك .. حاول الرفض لكنى ألححت حتى قبل .. وبما أعطيته من مال انتعش المكتب من جديد واندمج عماد فى العمل وبدأت الكآبة تفارق محياه وانفرجت شفتاه قليلا عن أصراره ، ثم أخذت السحابة القاتمة تفارق نظراته وبدأ يرانى ويحس بى .. وسمعت رنين أجراس خافتة فى صدرى ، وأحسست بابتســامة تتمطى داخل أعماقى .. أصبح سكوته أكثر من كلامه وهو يطلعنى على أرباح مكتبنا ، وكنت أرفض دائما أن آخذ شـــيئا من أرباحى ليزداد رصيدى فتتسع الأعمال اكثر واكثر ، وكان يتنهد فى كل مرة قائلا فى حيرة :

ـ وبعدين .. انت يظهر راح تتعبينى خالص .. يا ستى خدى فلوسك أحسن وريحينى .

وأعاتبه فى حنان ضاحك :

ـ كده برضه يا عماد .. أنا أتعبك .

ويصمت تماما .. يتماسك فى اللحظة المناسبة ويتركنى دون أن يزيد . وفجأة أعلن نبأ فسخ خطبة روحية .. فقد ترامت الى آذان خطيبها بعض أخبار مغامراتها السابقة . ودارت الدنيا بى ، فقد عادت روحية لتعمل على الفوز بعماد مرة أخرى بطرقها الخبيثة التى أعرفها جيدا .. ولم أتوان هذه المرة ، وان كانت هى تملك السمرة الفاتنة ، فأنا أيضا لى صفائى الهادىء الوديع يقوى من عزيمتى حبى الصادق لعماد واحساسى الأكيد بأنه قد بدأ يتجه الى بمشاعره . وكانت حربا شعواء انتهت ذات مساء عندما توجهت لأول مرة الى مكتبه أسأل عنه ، وسمع صوتى وأنا أسأل الساعى عنه ، فاندفع من غرفته ليلاقينى ، واذا بقدمه تتعثر فى مقعد فى الصالة حتى كاد أن يسقط ولم أستطع حبس ضحكة كبيرة فاض بها قلبى وأنا أقول :

ـ يا أخى على مهلك كنت حاتقع ..

واسترسل مع ضحكاتى قائلا وعينه على وجهى :

ـ كنت .. ؟

وأخذنى من يدى فرحا وراح يطوف بى أرجاء المكتب المتواضع ، ومرت لحظات شعرت فيها بسعادة حقيقية تجمع بيننا ، وقلت أفسر له زيارتى وأنا أتقمص شخصية صاحبة العمل :

– أعمل ايه رحت للخياطة وكان فاضل ساعة على تشطيب الفستان .. قلت آجى أتفقد سير العمل فى المكتب .

وجارانى فى التمثيل :

– مضبوط يا أفندم .. ده الواجب برضه .

ثم أردف فى لهجة جادة صادقة :

– ده بس من حظى اللى شفتك النهاردة .

ورافقنى الى الخياطة وبعدها آثر ترك عربته لنأخذ القطار سويا الى مدينتنا .. وفى الطريق من المحطة الى منزلنا كان الهدوء شاملا الا من وقع أقدامنا ودقات قلوبنا وراحت أحاسيس غامضة تدغدغ مشاعرى ، فتركت اصابعى في يد عماد .. يضغطها فى حنان ، وعيناى تسبحان فى الغلالة السوداء المرصعة بآلاف كثيرة من حبات اللؤلؤ ونسمات رقيقة تنفذ خلال شعرى الأسود الناعم وتتلاعب به ، وملأنى احساس بالسعادة تمنيت معه لو ان الحياة توقفت حتى لا تنقضى تلك اللحظات ..

واستأذن عماد من أخى بعد أن اوصلنى وقمت لأرافقه الى البـاب كعادتى وانتظر لحظة ونظر الى وفتـح شـفتيه وحبست أنفاسى لأسمع ما سيقول ، لكنه لم يقل أكثر من :

– تصبحى على خير ..

ولم أنم فى تلك الليلة .. أصبح كل ما أحسست به وما فكرت فيه وما تمنيته وكأنه خيوط رقيقة يتلاعب بها الهواء .. وكاد قلبى أن يقفز من الفرحة عندما جاء عماد فى اليوم الثـانى على الغداء دون سـابق موعد وضمتنا الشرفة من جديد ، وكان الجو هادئا الا من نسمات هادئة خفيفة توقظ شجرة الجوافة العجوز فتتثاءب قليلا لتصمت ثانيا .. شجرة الجوافة العجوز صديقتى

الحنون التى كثيرا ما استمعت الى نجوى قلبى دون أن تقاطعنى، فعرفت وحدها حبى وصانت سره ، وها هى الآن أمامى لا تدرى مصيره تنتظر وأنتظر معها . وتنهد عماد وهو يسبح بعينيه فى كل قسمات وجهى وقال :

ـ سهير .. ليه لما كبرتى نسيتى اللى كنت دائما بتقوليه وانت صغيرة ..

وارتجفت قليلا وانفاسى تهتف :

ـ كنت باقول .. ايه .. يا عماد .

ـ كنت دايما بتقولى .. انا عروسة عماد .. ليه اتنازلتى عنى .

ولم أشعر الا وأنا أقول فى سرعة :

ـ أنا .. أنا عمرى ما اتنازلت عنك .

واحتد قائلا :

ـ أمال ليه سيبتينى لروحية .. ليه .. عشان انا مش كفؤ ليك يا سهير ؟

واتسعت عيناى وأنا أقول هاتفة :

ـ انا عمرى ما فكرت فى الحكاية دى يا عماد .. بالعكس.. أنا كنت دايما باعتبرك كفء لى .. حتى وانت بمرتبك بس .

وبدا كأنه لا يصدق ما يسمع صاح فى لهفة :

ـ يعنى ترضى باللى باكسبه دلوقتى .

ونظرت اليه فى عتاب كبير وحنان أكبر وانا أقول :

ـ انت يا عماد كفاية على ..

وهبت علينا نسمة رطبة قادمة من ناحية شجرة الجوافة ، فنظرت اليها بطرف عينى وهى تتراقص فى نشوة .

لـكى أنسى

كانت الساعة قد قاربت الواحدة صباحا ٠٠ وما زال النور مضاء فى حجرة نوم الزوجين ٠٠ الأستاذ شكرى أمين وزوجته نادية ٠٠ السيدة التى لم تتجاوز الثلاثين من عمرها ٠٠ ورغم أن زوجها لا يكبرها الا بسنوات قليلة ٠٠ الا أن بينهما هوة عميقة ٠٠ تزداد اتساعا كلما كرت سنوات زواجهما ٠

قالت نادية ٠٠ وقلبها يكاد ينفجر من شـــدة الضغط الذى تحس به على كل أعصابها :

ـ اعمل معروف ٠٠ حرام عليك ٠٠ ارحمنى بأه ٠٠ كفاية ٠٠ أنا خلاص ٠٠ تعبت ٠٠ تعبت ٠

ونظر اليها زوجها نظرة تحمل معانى الاستبداد والاستنكار والتشفى ٠٠ وقال فى صوت كالفحيح :

ـ ما تريحى نفسك ٠٠ حد غاصبك ؟

وأجابت فى يأس وأعصابها تتمزق :

ـ ياريت ٠٠ ياريت فيه راحة ٠٠ ثم صمتت ولم تفه بكلمة٠٠ فقط راحت دموعها تتساقط فى تلاحق ٠٠

ان نادية لم تتأكد من خطأ زواجها من الاستاذ شكرى الا بعد أن أصبحت أما ٠٠ الا بعد أن ارتبطت به مدى الحياة ٠٠ اما قبل أمومتها ٠٠ عندما اكتشفت انه ليس بينهما أية نقطة التقاء ٠٠ فقد كانت تظن أن من الممكن ـ مع مرور الايام ـ أن توجد هذه النقطة٠٠ ومن يدرى ٠٠ ربما طول العشرة وتفانيها فى حبه ٠٠ يهذبان من معاملته لها .. وكثيرا ما صارحت أمها بمتاعبها وكان رد الأم الدائم :

ـ يابنتى حرام عليكى ٠٠ الراجل مش مخليكى عايزه حاجة ٠٠ ايه بس الى عامله ؟ ٠٠ ده عمره ما أخرلك طلب ٠٠

وكان هذا ما يثير السخرية فى قلب نادية ٠٠ ان أمها لا تستطيع أن تقدر ما تريده من زوجها ٠٠ ان ما تريده ليس شيئا ماديا أنها تريد شيئا آخر بالمرة .. شيئا يكمن داخل تصرفاته ٠٠ داخل نظرته لها كانسان له احساس ٠٠ لا زوجة يصدر اليها أوامره ٠٠ انها لا تذكر انه ابتسم لها ابتسامة واحدة ٠٠ انها لا ترى ابتسامته الا فى حضور ضيوف فى منزلهما ٠٠ أو عندما يقومان ٠٠ هما ٠٠ بزيارة أحد ٠٠ أما غير ذلك فهو انسان عابس مكفهر دائما ٠٠ وكم حاولت أن تخفف عنه ٠٠ ان تعرف ما به ٠٠ فلم تر الا وجها جامدا ٠٠ وصوتا آمرا ينطلق بكلمات حازمة لا تتغير ٠

ـ ارجوك ٠٠ سيبينى دلوقت ٠٠

وكانت تعزو جموده هذا ، وتصرفاته الخشنة الصارمة ، الى طفولته المحرومة القاسية ٠٠ الى الأيام الطويلة التى عاشها مع زوجة أبيه التى لا ترحم ٠٠ ثم الى اندماجه فى عمله واستغراقه فى التفكير

فيه ٠٠ كما تعزوه الى أنه رجل عصامى التعليم ٠٠ بنى نفسه بنفسه ، وكافح طويلا الى أن وصل الى مركزه المرموق ٠٠ كمدير لاحدى الشركات ٠٠ لم تتزوجه عن حب ٠٠ كان زواجهما زواج عائلات ٠٠ وبعد الزواج لم تحس بأنها تحبه أو تكرهه ٠٠ فقط٠٠ كانت تعطف عليه ٠٠ وتعجب به كرجل بيت كامل ٠٠ كانت أقرب الى حبه منها الى كرهه ، بل كانت تسعى جاهدة لتحبه بقوة وعنف ٠٠ لتكون كل عواطفها ملكه ٠٠ وللأسف ٠٠ كلما اقتربت منه خطوة ابعدتها عنه خطوات ، هذه المعاملة الجافة ، التى لا تحمل فى ثناياها الا كل ما هو روتينى ٠٠ وفاتر لا روح فيه ٠٠ ولا يتسم بشىء من المجاملة الخفيفة الحانية العاطفة ٠٠ المجاملة التى تحس معها أنك انسان لك مكانتك عند الآخر ٠٠ وأنه يسعده جدا أن يراك سعيدا ٠٠ ولا يشعرك انه يقوم بواجبه نحوك ٠٠ هذا ما كان يؤلم نادية دائما ، ويجعل الحيرة تستبد بها ٠

كان هذا وهى فى العشرين من عمرها ٠٠ حينا تسكت على مضض ٠٠ وأحيانا عن طيب خاطر ٠٠ أما الآن ٠٠ وبعد أن وصلت الى الثلاثين من عمرها ٠٠ وأضحت أما لثلاثة أطفال ٠٠ وهو ما زال كما هو ٠٠ فقد غدت لا تستطيع الاحتمال ٠

فى هذه اللحظة ٠٠ كان شكرى ينظر اليها بغضب ، ويصيح بصوت هادر :

ـ أنا عاملك حاجة ٠٠ ناقصك حاجة ؟ ٠٠ اتكلمى ٠٠

وقالت فى صوت خافت يقطر أسى :

ـ ناقصنى حاجات كتير ٠٠ كتير جدا ٠

واتجه اليها وقد ملأه الغضب ٠٠ وامتدت يداه الى كتفيها تهزانهما فى عنف ٠٠

ـ ما تقولى عايزه ايه منى أكتر من كده ؟ ٠٠

وازداد صوتها خفوتا ٠٠ وكسا الالم وجهها ٠٠ وهتفت فى يأس :

ـ الحاجة اللى أنا عايزاها ٠٠ بسيطة ٠٠ بسيطة جدا ٠

وصوب اليها نظرة حائرة ٠٠ دهشة ٠٠ نافدة الصبر ٠٠ بينما راحت افكار نادية تدور حول حاجاتها البسيطة التى تطلبها من زوجها وهو لا يدرى بها ٠٠ توضحها داخل نفسها وهى تجلس مكورة معتمدة رأسها على راحة يدها ٠٠ تبكى فى صمت ٠

وجرى خيالها ٠٠ الى ٠٠ الى الآخر الذى يملك كل ماتطلب ٠٠ الى الانسان الذى اشعرها بوجودها ٠٠ بسيادتها ٠٠ بانوثتها ٠٠ بأنها مصدر سعادة له ٠٠ الى زهدى ٠٠ كانت فى أشد حالات بؤسها أثر مشادة عنيفة بينها وبين زوجها ٠٠ وفى هذا اليوم كانت مدعوة لمصاحبة أولادها فى رحلة مدرسية ـ كأم ـ للفصل الذى يضم ابنتها ٠٠ وقابلته فى هذا الصباح كما قابلته من قبل كلما ذهبت الى المدرسة ٠٠ شاب فى الثلاثين ٠٠ أحيانا يبدو أصغر من سنه ٠٠ عندما تكون هناك حفلة مدرسية ٠٠ انه يتحول فى الحال الى شعلة من النشاط واليقظة ٠٠ وأحيانا يبدو أكبر قليلا ٠٠ عندما تطرح للمناقشة احدى المشاكل الخاصة بالأطفال ٠٠ عندئذ يتسم بوقار الشيوخ ٠٠ يستمع فى هدوء ٠٠ لكل كلمة تقال ٠٠ ويناقش الآراء فى رزانة ورجاحة عقل ٠٠ وكانت تعجب بوعيه الانسانى ٠٠ ويدهشها أنهما متفقان فى الرأى دائما ٠٠ وكثيرا ما تساءلت : ما الذى يجعله يؤيد آراءها ؟ ٠٠ هل هو يجاملها ؟ أو يوافقها عن اقتناع ؟ ٠٠ كانت تحس بالراحة ٠٠ بل بشىء من الزهو والغرور ٠٠ لأن هناك شخصا يضم صوته الى صوتها ٠٠ آه لو كان زوجها يؤمن بآرائها كما يؤمن بها هذا المدرس البسيط ٠٠ اذن لكانت

كل متاعبها قد انتهت ٠٠ انها لا تسمع من زوجها دائما الا هذه الجملة ٠٠ كلما عارضته فى أمر يزمع انجازه :

ـ انت مش عايشه فى الدنيا ٠٠ كل كلامك خيال فى خيال ٠٠ انت تأكلى وتشربى بس وبلاش غلبه ٠٠

ـ أهلا نادية هانم ٠٠ صباح الخير ٠

قالها الأستاذ زهدى فى رقة ودماثة ٠٠ ورنة فرح مستترة ٠٠ وان أحست بها ٠٠

وخرجت سريعا من أفكارها الحائرة الحزينة ٠٠ ودهشت لصوتها يرن صافيا رغم ما بها :

ـ أهلا أستاذ زهدى ٠٠ صباح الخير ٠

ـ ازاى كنت حتعتذرى ٠٠

ثم خفض من صوته وهو يردف ، ولمحة يسيرة من حنان تلمع فى عينيه وتختفى سريعا :

ـ كنا حنتضايق خالص ٠٠ كلنا ٠٠

وتركها سريعا ليجمع تلاميذه الصغار .. لم تدر نادية ما هى قوة السحر الخارقة التى كانت تمكن فى حنايا هذه الجملة على بساطتها .. ولها كل هذا التأثير على محو عذابها ..وراحت لمحة الحنان الخاطفة التى احستها فى عينيه تطفو على كل ما عداها .. وتحتل ذهنها بجانب هذه الجملة البسيطة .. وأيضا الهزة التى سرت فى صدره وهو يتركها سريعا .. لقد احستبها تهزها أيضا ٠

بدأت نادية تنسى كل متاعبها الزوجية مع ترددها المستمر على

المدرسة ·· أصبحت لا تعتذر اطلاقا عن أى دعوة للمســاهمة فى النشاط المدرسى ·· والتقت العيون فى نظرات يسيرة خاطفة ·· زادت شيئا فشيئا الى أن غدت اكثر وضوحا ، وأطول استغراقا·· بل اعمق غورا ·· وجلست نادية مع نفسها يوما لتسألها : أين المصير ؟ ·· فلم تجد الا روحها ·· هناك بعيدا ·· تحوم حول خيال زهدى ·· وأحست بالأرض تميد تحت قدميها · وهزت رأســها فى تأكيد ·· لقد انتهى الأمر ·· انى أحب زهدى ·· ياللفظاعة ·· هل جننت ؟ ·· وهتفت روحها قائلة ، وهى سابحة بعيدا : أين هى الفظاعة ؟ ·· هل الحب جريمــة ؟ انه أجمل ما فى الوجود ·· لا تجزعى ·· ليكن حبا عذريا صامتا ·· ولا تشعريه بحبك ·

ولكن ·· لم يقف الأمر عند هذا الحد ·· حدث ذات مرة أن حال عذر طارىء عن ذهابها الى المدرسة فى الموعد المقرر ·· وذهبت فى الموعد التالى مبكرة تحمل بين جوانحها شوقها ·· لكنه كان أسبق منها ·· ورأت فى عينيه لهفة ·· وخرج حنينه بين شفتيه فى همس :

ـ وحشتينى ·· كنت خايف أحسن ماتجيش ·

وتركت يدها فى يده وهى لا تحس بموقع قدميها ··

فى هذه الليلة لم تذق للنوم طعما ·· كان يؤرقها أمر واحد ملأ نفسها يقينا مرا .. لن يظل بينهما ـ لو استمر لقاؤهما ـ حب عذرى .. قطعا سيحتال .. وتحتال هى أيضا .. ليكون بينهما لقاء منفرد .. وأى لقاء سيكون بين امرأة فى الثلاثين ، وشاب أعزب يماثلها سنا ·· وزاد اليقين وتأكد ·· وهى تستعيد احاسيسها فى اللحظة التى تركت فيها يدها فى يده .. لقد كانت تود ساعتها لو تركت نفسهــا بين ذراعيه .. ثم بدات تتصور نفسها موزعة بين زوجها وأولادها وبيتها .. وبين ..

حبيبها .. عشيقها .. ولم تستطع الاستمرار فى تصور نفسها موزعة بين رجلين .. ولم تحتمل أيضا مجرد الفكرة فى أن تترك زوجها وأولادها وتتزوج حبيبها ·· ان كان هذا فى حكم المعقول ·· وآثرت أن ترجع وهى فى منتصف الطريق ·· آثرت الأمر الممكن حدوثه .. والذى يجب أن تفعله مهما عانت ..

لم تكد خيوط الفجر الأولى تظهر ·· حتى بدأت نادية تحس بخـــدر فى أجفانها ·· وبدأت تودع عقلهـا الواعى لتستسلم الى أحلامها ، وهى راضية للعهد الذى أخذته على نفسها ·· ألا تجعل زهدى يراها بعد اليوم الا اذا برأت من حبها ·· الا اذا أحست أنها قد عادت كما كانت ·· تملك كل السيطرة على مشاعرها ·· ولن تعوزها الحيل التى تبرر بها عدم ذهابها الى المدرسة ، حتى أمام زوجها ·· ولكن ·· ما أن صحت من نومها وبدأت تدخل يومها·· حتى وجدت ذهنها قد احتلته ، كما تعـــودت ، نظرات زهدى ولمساته ·· وامتلأت أذناها بصوته وهمساته ·· ولأول مرة أحست بتنهيدة حارة تخرج من صدرها كما لم تخرج منه أبدا ·· تخرج من صدرها وكأنها تأخذه معها ·· أحست بعينيها تبكيان بلا دموع ·· وكأن يدا تمتد الى قلبها تعصره بين لحظة وأخرى ·· ومع ذلك ·· هتفت من أعماقها : سأظل على وعدى لنفسى ولو تزف قلبى دما ·· واتجهت بكل عواطفها ·· بكل رغبتها فى المحـــافظة على كيانها ، كأم ·· وكزوجة ·· الى شكرى ·· الى زوجها ·· اتجهت اليه لينقذها من نفسها ·· ليساعدها فى صراعها بين واجبها وحبها ·· تستجدى عواطفه وحبه وحنانه ·

لم يحس شكرى بكل هذا ·· بل بدا له ان زوجته قد مسها شيء من الجنون ·· وأنها لم تعد الانسانة الهادئة الرزينة كعهده بها ·· وبدأ يعنفها على طيشها ورعونة عواطفها ·· وضاقت نادية بكل ما حولها ·· حتى نفسها ·· انها تريد ان تنسى كل شيء ··

تنسى أن لها زوجا لا يحس بها الا فى تلبية طلباتها المادية .. تنسى أن لها أولادا يجب أن تضحى فى سبيلهم بقلبها وعواطفها .. تنسى أن لها حبيبا يجب أن تنساه .. ولم تجد الا صديقاتها تخرج اليهن لتنطلق معهن فى أحاديثهن الصاخبة اللاهية التى لا معنى لها .. ثم .. ملت الخروج وحدها .. وأرادت أن تخرج مع زوجها فى هذا اليوم بالذات .. انه كان موعد ذهابها الى المدرسة .. وقد مر أكثر من أربعة أسابيع وهى فى صراعها هذا .. وكان أخشى ما تخشاه ان تضعف ، وتذهب اليه .. الى زهدى .. بعد كل هذا العذاب .. وأبصرت زوجها يستعد للخروج بعد الظهر كعادته . وفى هدوء وبساطة قالت له :

– أنا متضايقة يا شكرى .. وعايزه أخرج معاك ؟

ونظر اليها فى دهشة وقال :

– عشان ايه .. ؟

– تعبانه .. وعايزه اقعد فى حته هاديه ..

– وقال فى سخرية واضحة :

– يا سلام على الخيال .. لا ياستى .. عندى ميعاد مهم ..

وقالت فى توسل خافت :

– معلهش .. تقدر تخلص من ميعادك بسرعة وأقابلك بعد ساعة .. واللا أكثر شوية ..

قال فى حزم :

– النهارده مش ممكن فيه ميعاد تانى مع أصحابى نســـهر شوية .

وخرج فى سرعة دون أن يحاول حتى أن يسألها مابها ..

وكادت دموعها تطفر من عينيها ·· لكنها فى سرعة تشنجيه شرعت فى وضع ثياب الخروج على جسدها تقودها قدماها الى احدى صديقاتها ·· ونسيت ، بالمرة انها لم تأخذ من زوجها اذنا بالخروج، كما جرت عادتها ·

عندما عادت الى بيتها كان زوجها قد سبقها اليه ·· ودق قلبها فى عنف عند سماعها صوته ·· وأرادت أن تتجنب ما سوف يحدث ·· فبادرته قائلة :

ـ أنا آسفة يا شكرى ·· الحقيقة القعدة كانت حلوة خالص ·· ونسيت روحى ·

نظر اليها والغضب يملأ كل وجهة :

ـ وزاى تخرجى من غير ما تقولى ؟ ·· ازاى أرجع البيت مالاكيش ·· كويس لو كان معايا واحد صاحبى ·· وحضرتى راجع بيتى مش عارف اذا كانت الست موجودة واللا لأ ؟

قالت فى هدوء وأعماقها ترتجف خوفا :

ـ كنت متضايقة خالص ·

وضاقت عيناه ، وخرج صوته فى سخرية ·· لاذعة :

ـ متضايقة ·· ؟ متضايقة من ايه ·· ناقصك ايه ·· عايزة ايه منى أكثر من كده ·

واجتاحت الثورة كل كيان نادية ·· وراحت تعصف بكل ذرة فى أعصابها ·· وقالت فى صوت كله تحد :

ـ وفيها ايه يعنى انى أخرج من غير ما أقولك ؟ ·· ما ليش الحق .. ما ليش الحق فى حاجة أبدا ؟

ـ لا ‥ لا ما لكيش الحق أبدا الا بأمرى ‥ أنا مش مأخرلك طلب فلازم تمشى تحت أمرى ‥

وهكذا بدأت بينهما المعركة التى استمرت حتى الســـاعة الواحدة صباحا ‥

ـ عايزه ايه منى أكثر من كده ؟

وعلا صوتها حتى كاد يصبح صراخا أكثر من صراخ شكرى ‥ وغدت ثورة دمائها تطن طنينا فى أذنيها :

ـ مش عايزه ‥ مش عايزه حاجة منك أبدا ‥ بيع العفش ‥ كسر التليفون ارم الثلاجة والبوتاجاز ‥ اطرد الخدامين ‥ بيع هدومى ‥ سكنى فى أوده ‥ وعاملنى معـــاملة غير كده ‥ عايزه أحس انى عايشه ‥ أحس انى من بنى آدم ‥ أحس انى الست بتاعتك ‥ مش الآله اللى اشتريتها بفلوسك ‥ حرام ‥ حرام عليك ارحمنى وحس ‥ حس بيه ‥

وفى الحال امتلأ كل فراغ حجرة النوم بخيال زهدى فى حنانه وعطفه ‥ ونظراته العابدة فى صمت وتبجيل ‥ لم تفكر نادية بعد ذلك فى شىء ‥ لم تحس الا احساسا واحدا ‥ حتى أنهـــا لم تر زوجها ، ولم تحس بأولادها عندما فزعوا من نومهم على صوت ثورتها ‥ لم تحس الا بنفسها كبركان ثائر يقذف بالحمم الى الفضاء ‥ الى رأسها ‥ لتنزلق فى سرعة جامحة الى جسدها فتطيح بكل هدوئه ‥ وتحفر فى كل حناياه ‥ أصبحت كلها كقطعة من الهدير الصاخب، تصرخ داخل نفسها أريد أن أموت ‥ أريد أن أموت ٠ آه لو يسكت هذا القلب الذى ينبض ‥ وهذه النفس التى تثور ‥ أريد أن أمحو وجودى ‥ ان وجودى عالة على نفسى وقلبى ‥ لا مكان لى فى الحياة ‥ قفزة سريعة من شرفة المنزل وتنتهى ، وتسكت كل هذه النبضات ٠

وفجأة سكت الهدير مع الصورة التى احتلت ذهنهـــا ٠٠ جسدها الذى ضنت به أن يجرفه تيار الحب ٠٠ أن يراه رجل آخر غير زوجها ٠٠ حتى ولو كان حبيبها ٠٠ هذا الجسد سيكون عرضة أن تراه وتتفحصه كل عين وهو مطروح على أرض الرصيف ٠٠ لا ٠٠ لا ٠٠ وأسرعت تجرى الى الحمام ٠٠ لم تكن تدرى ما ستفعله فى الحمام ٠٠ ولم تفكر فى شىء معين ٠٠ فقط كانت تود أن تسكت كل هذه الأصوات التى تعصف بنفسها ٠٠ وانتابت شكرى فى هذه اللحظات الدقيقة موجة من البلاهة واللا شعور ٠٠ فلم يكن يصدق أبدا قبل هذه اللحظات أن هذا سوف يحدث فى وقت من الأوقات ٠٠ لم يكن يتصور اطلاقا أن نادية ستثور كل هذه الثورة فى يوم من الايام ٠٠ وانتبه من أفكاره على صوت ارتطام جســـم ثقيـــل بأرض الحـــمام ٠٠ وكالملسوع جرى الى هناك ٠٠ وملأه جزع رهيب عندما أدار أكرة الباب ولم تستجب له .. وأحس بنفسه تنهار دفعة واحدة .. ثم سرعان ما تحول كل هــــذا الجزع والانهيار الى قوة غاشمة عملت فى سرعة لتدفع الباب حتى خرج القفل من مكانه .. وانفتح باب الحمام ليرى نادية ممددة على الارض مغشيا عليها ، والدم ينزف من جرح فى رأسها .

فى بطء شديد فتحت نادية عينيها وقد أحست انها آتيـــة من رحلة بعيدة ٠٠ جسدها تسرى فيه رطوبة كالثلج تهد كل عضو فيه ٠٠ حتى أنها لا تستطيع أن تتحرك من مكانها ٠٠ ورأت زوجها جالسا على طرف الفراش ٠٠ ينظر اليها فى لهفة واشفاق ٠٠ وحب واضح صريح ٠٠ وهتف بفرح صبيانى عندما رآها تفتح عينيها ٠٠ ولم يحاول أن يخفى ابتسامته الواسعة ٠٠ ودموعه المتساقطة ٠٠ وصوته المشحون برنة الفرح رغم الدموع التى تسرى فيه :

– حمد لله عالسلامة ٠٠ كده برضه ٠٠ اخص عليكى يا نادية

ـ حصل ايه ٠٠ ؟

ـ أبدا ٠٠ كسرت الباب وأنا حاموت عليكى

ـ كل اللى كنت عايزاه انى أكسر راسى ٠٠ عشان كده فضلت أخبطها فى الحيط وبعدين ما حستش ٠

ونظر اليها طويلا ٠٠ وهو يرفعها قليلا برفق من على الوسادة ٠٠ قائلا فى صدق وصوته يسرى فى أذنها كالطيف الحالم :

ـ يا حبيبتى ٠٠ عايزه تموتى روحك ٠٠ ده أنا مش ممكن أعيش بعدك ولا يوم ٠٠ ده انت كل شىء فى حياتى ٠

قالت له بحنان :

وهى تسبح بعيدا

ـ أنا ما كنتش عايزة حاجة أكتر من كده ٠٠ عشان أقاوم باستمرار ٠٠

ثم أسرت لنفسها :

ـ ولكى أنسى ٠٠



هدى جاد



صقيع الافران

بدت له الدنيا واســعة منبسطة ؛ الأرض كثة الاخضرار ٠٠ وكوخ بعيد يقبع مرتاحا فى ظل نخلة ٠٠ ما أجمل بلدنا ٠

وهذه نافذتى أطل منها أو لا أطل ٠٠ أتخيل ما وراءها أو أراه لست أدرى متى وقفت وراءها ؟ ٠٠ تســـألنى ياراكب قطار ديزل حلوان ٠٠ تطل من نافذتك وتقتنصك نظراتى من نافذتى ٠٠

قبل أن تكبل يدى بحديد ساخن بارد ٠٠ شاهدت نموذجا لكوبرى صغير يصل بين طريقين فى بلدة طره ٠٠ لقـــد انكشف المستور بعد ذكر اسم البلدة ٠٠ مع أنها تحتضن أفرادا وجماعات أبرياء غيرى ٠

خارج النافذة ٠٠ لا بل خارج السور ٠٠ لا بل خارج المبنى كله النور والحرية ٠٠ أأستحق ما حاق بى ؟ لكن أحاق بى شىء ؟

وسمعت ضحكة السجان تجلجل خارج الحجرة ٠٠ وجودى الآن فى هذه الزنزانة بداية أو نهاية ؟

وببصيرتى لمحت قطيعا من الأغنام تساق براعيها الى حيث تجد ما تقتاته ٠٠

على بعد بضعة كيلومترات مبنى صغير يحفه فضاء واسع ٠٠ لا هو بالمربع أو المستطيل ٠٠ أو متوازى الأضلاع ٠٠ لكنه فضاء ٠ بعضهم أو على وجه التحديد أنا مثلا أسميه السلخانة ٠٠

دائما كانوا يمتدحون الزواج فى غيابى ٠٠ أو وجودى ٠٠ كان مشروعا أو فكرة أو أمنية ٠٠ فماذا تحقق ؟

التفت حولى ٠٠ أمامى مثل ما ورائى ، مثل مايحوطنى ٠٠ فضاء فى فضاء فوق مبنى السلخانة الذى أحس بوجوده ٠٠ وشاهدته فيما مضى . . والآن فى مخيلتى بعض النسور الجارحة تحلق وتحوم ٠٠ لكننى لا أرى فيما مضى أو فى مخيلتى ما يحتويه المبنى ٠

كانت فكرة الزواج تراودنى وتلح على ٠٠ قالوا لى ابن علاقات مشروعة ٠٠ لا بل غير مشروعة حتى تكون تمهيدا للمشروعة ٠٠

لتتذوق حلاوة العسل لا بـد أن تخزك أبر النحل ٠٠ كنت بصدد تبرير محاولاتى غير المشروعة ٠٠ لكننى لم أبررها لأننى لم أمارسها ٠٠ ولم لم أمارسها لست أدرى !!

على بعد بضعة كيلومترات بالقرب من ضاحية حلوان أقيمت مصانع لصنع الحديد والصلب ، من وقت ليس بالقصير ٠٠ كانت الارض فضاء ٠٠ لكنها تختلف تماما عن الارض الفضاء التى ينبت فوقها مبنى السلخانة ٠

شاهدت وجهى فى المرآة ٠٠ مرات ومرات حتى ألفته ٠٠ كان كل من حولى يقول رجل عادى القسمات ٠٠ كانت صورى الفوتوغرافية تعلن دمامتى ٠٠ أحلامى فقط ٠٠ وقول أمى ٠٠ رجل وسيم ٠٠ وسيم جدا ٠

نفرت منى لوزه ·· لها الله ··

قال من حولها ·· حسناء عارمة الأنوثة ·· لم تكن فى حاجة لأحلام واقوال أمها لتعلنها ·· لا تتركى أو تهملى كلمات الله على صدرك فى صورة سلسلة ذهبية أو غير ذهبية ··

أمسكت برأسى ·· فقد انتابه الدوار ·· وأفقت بعد لحظات لأشاهد كتلة دسمة من السحاب الأبيض ·· غمست عينى فى داخل السحابة ·· هناك أشياء تتوالد ·· تبدأ بحلقات تتسع وتتسع·· حتى تشمل الفضاء كله ·

وانحسرت السماء عنها ·· عن لوزة ·· قالت عنها السلسلة الذهبية أكثر من جميلة ·· ولم تكن فى حاجة الى أحلام لتعوضها ما تفتقده فى النهار ··

تمنيت أن أهديهـــا سلسلة فيها كلمات سماوية أشـــبه بالتعويذة ·· واستعرت منهـا أحلاما كانت تعرفها ولن تلق اليها بالا ·· كانت بطلة أحلامى ·· الغريب فى الأمر أنها لم تنفر من كلمات رصعتها بغزل رقيق وجمعتها فى عقد أثيرى لففته حول عنقها لتحوطه وتصونه مع كلمات التعويذة السماوية ··

– كلامك حلو يا صابر ·· بس

– بس ايه يا أجمل هدية ؟

– مهرى غالى ··

– الغالى يرخص لك يالوزه ··

ورفعت يدها الدقيقة التى تحـوى خمس أصابع ماسية ·· حركت كفها ما يقرب من مائة مرة ·· حتى ظننتها فى نهاية الأمر تحاول الامساك بى ··

وعددت هزات كفها ·· وعرفت قيمة مهرها !

أصابنى الدوار ·· وتمنيت أن يستغرقنى حلم تكون هى بطلته المترفقة وعاودت النظر اليها ·· كانت حلما تمنيت أن يطول مداه حتى لا تطالبنى بأشياء حقيقية ·· عندما أفيق وأستيقظ ··

لكنى بعد أن قرأت في جريدة الصباح ·· المخلوقات الاخرى في الفضاء أستأنست الانسان على الأرض لفترة طويلة منذ عشرات الآلاف من السنين ·· عرفت ألا مستحيل هناك ··

وسرعان ما انبثقت في رأسى فكرة ·· وظيفتى تومرجى فى معهد بحوث طبية .. موظف هادىء .. دءوب على مواصـــلة عمله .. لم يتخلف يوما ولم يصدر عنه ما يشتم منه شيء يوحى بعدم الثقة .

هذا هو المكان ·· ولكن المنبع كيف الوصول اليه ؟؟

أمى يا مولاى كما خلقتنى ·· لا هى ولا أنا نملك عقارات أو أرضا أو مصاغا ·· مصاغا ·· مصاغا ··

وارتفعت قامتى حتى خلتها حاذت النخلة البعيدة التى كنت أراها فيما مضى من نافذة قطار ديزل حلوان ولعلنى أراها الآن·· لست أدرى ··

غمست عينى فى داخل السحابة ·· هنـــاك أشياء وأشياء تتوالد ، تبدأ بحلقات تتسع وتتسع حتى تشمل الفضـــــاء كله وانحسرت السماء عنها ·· عن مصاغ الست أم احمد ·· ابنة خالة أمى الأرملة المقرئة التى تقرأ القرآن فى الموالد والمآتم وتحول أجرها كله الى أكمام من المصاغ الذهبى البراق ·

سأوهمها بمشروع تجارى ··

قالت لى :

ـ مش عايزه غير الحلال ·· مين عارف التجارة أصـــلها ايه وفصلها ايه ؟؟ الحلال يا صابر ·· الحلال ··

الحلال يا أم أحمد يا عجوز يا عقيم ·· ولوزة ؟؟ يرخص لك الغالى يالوزة ··

وتذكرت بقية الفقـرة التى قرأتها فى جريدة الصـباح ·· مخلوقات الكواكب الأخرى التى رحلت عن الانسان بعد أن يئست من تطويره !!

وعرضت على أم أحمـد الزواج ·· فمرضـت أمى وانهارت أعصابها ·· من هول الفكرة ··

وحدقت أم أحمد بعينيها فى عينى :

ـ ان كنت يا حبيبى طمعان فى حاجة ·· ما كانش ينعز ·· اللى ياخدنى يصرف ·· يجرى على ·· وفلوسى

ورفعت ذراعيها المكدستين ذهابا وايابا ··

ـ فلوسى بتبقى منها فيها ·· ما ياخدهاش غير عزرائيل ·· !

وشفيت أمى سريعا ·· وباركت صفاء ذهنى بعد أن عدلت نهائيا عن مشروع فاشل فى بدايته ووسطه ونهايته

لابد أن أخفض من رأسى لتقصر قامتى وأشاهد نسرا وحدأة وهمـــا يئوبان الى سجن طره ·· وتحـــط الحدأة على عمود نور يواجه نافذة زنزانتى .. لمـــاذا تذكرنى بالسلخانة وبضـــعة كيلو مترات تفصل بينك وبين صانع الحديد والصلب ؟؟

وسمعت مرة أخرى ضحكة السـجان وهى تجلجل ·· ماذا

أصابه ؟ هل عاوده ذلك الداء ·· ظننته سينتعش مساء لا الآن ·· لكن يبدو الا فرق هناك فى الزمن ··

سرعان ما شـفيت أمى ·· وليتها لم تشف ·· فقد أصررت على ارتباطى بلوزة ··والغالى يرخص لك ، فما بالك بغير الغالى ؟؟

من شرفة بيتنا كنت أراها ؛ فقد كانت حجرتها فى الدور الاول كانت تعذبنى بوجودها بضحكتها المجلجلة ·· وهى تستقبل أقرباء أبيها ··

لمحت لى مره :

ـ أنت حر ياسى صابر ·· الخطاب كترو ··

وبعد أن ترمينى بنظرة تلهب كل أحشائى تقول وهى تخفض من صوتها :

ـ بس انت حاجة ثانية ·· راجل طيب ·· هىء ·· هىء ·

قالت لى أمى ظهرا :

ـ الست أم احمد عيانة قوى ·· مش بتقول الحكيم صاحبك يمكن يكرمها فى الفلوس ·· ولو انها مش محتاجه ·· لكن انت عارف بخلها ·· اجبر بخاطرها ·· يمكن فى يوم تشوفنا ··

طارت الحدأه ·· هاهى تبتعد وتكاد تغيب عن ناظرى ·· وأكاد برأسى الذى يتطاول أرى سطح الكوخ ·· ربما كان لنا مثله فى يوم ما يالوزة ··

قالت أم أحمد : ان المرض اشتد عليهـا ·· تمعنت فى كلام أمى ·· فأحسست بأهميته وجدواه ··

قمت بزيارة لبيت أم احمـــــد ·· كان ذا أثاث منسق ··

وسريرها عالى الأعمدة والأسوار ·· يضمها بين جوانحه مع كنزها الذهبى ·· كانت تمسك بطنها وتتلوى ··

ـ سلامتك يا ست أم احمد ·· ما هانش على أشوفك تعبانه وأسيبك أمى بتسلم عليك ·· تحبى تروحى معـــاى للحكيم ·· امتى ؟

تطلعت الى سقف زنزانتى · فى ركنها عنكبوت عتيد ·· هل نسيه السجان ؟ أم أنه لسجين سابق بيته محكم على ذباب كثير منثور ·· أدرت رأسى متقززا ·· لماذا انعدمت كل الأشياء الجميلة من حياتنا ؟

قالت لى أم احمد والمغص يكاد يجهز عليها ··

ـ أنا تحت أمرك يا صابر ·· يللا حالا دلوقت ··

وضحكت من قلب مفعم بالسعادة ··

ـ لازم لها ترتيب سابق ·· بكره بالكثير أفوت عليك ··

ـ لسه ح يفوت على بكره ؟

ـ بعد الشر عليك يأم أحمد ·· ده انت لسه شباب !

سمعت السجان يقول لزميله :

ـ ح تتغدى ايه النهارده ؟

كانت ضحكته تسبق اجابته :

ـ يعنى ح يكون ايه يا خى ·· صينية بطاطس فى الفرن ؟ ها ·· ها ·· ها ·· الفرن ؟

راسى يكاد يتمزق .. ليت المسافات التى تفصل بين حديد نافذة زنزانتى تتسع لادخالك ايهـــا النسر الذى يقف فوق عمود النور فيزيد من تثبيته فى الأرض ··

كان الاتفاق أن تجىء أم أحمد الى مكان عملى ٠٠ معهد البحوث الطبية ٠٠

الأحداث المفترضة تتلاحق ! ٠٠ انتظارها لطبيب لم ولن يحضر ٠٠ فقد اخترت ميعادا يمثل الصمت ٠٠ منظر جماجم وعظام القرود التى تجرى عليها تجارب طبية ثم يتم احراقها فى الافران الخاصة لذلك ٠٠

ما هذا الصراخ ؟

رنوت الى ركن العنكبوت ٠٠ قالت احدى الذبابات :

- لوزة راحت منك ٠٠ الكلمات السماوية التى تحوط جيدها ما زالت باقية والأخرى المسجلة بالمعدن الذهبى ما زالت أيضا باقية ٠٠

تلفت حولى ٠٠ الجدران أربعة والسقف خامس ٠٠ والسجان فى الخارج رأسى يدور ٠٠ ليس عندى ما أستعين به على محو الصور التى تصاحبنى .. اريد أن أبيد العنكبوت .. اريد ان انظف كل شىء ٠٠ لا أملك سوى رأسى ٠ ها هو ملك يدى ٠٠

وتوالت الطرقات على الحائط ٠٠ هل انكسر الحائط ٠٠ أو انشرخت جدران الرأس ؟

صوت صفير الديزل وشهقة أم احمد الأخيرة ٠٠ وضحكة لوزة المجلجلة وأصوات موسيقى تزفها الى مجهول وهى تتحسس جيدها الذى تحوطه التعويذة ٠

كى أنالك يا لوزة يجب أن أستحوذ على أكمام أم احمد الذهبية لاستخلصها كلها ٠ لابد من استخدام الافران ٠٠ عظام وجماجم القرود جزء من عملى اليومى أصابنى وتصيبنى دائما بالنفور

والاشمئزاز ·· يقولون أن الانسان أصله قرد وما أشبهه بأم احمد ·· ومع ذلك ·· فلن أستطيع ·· لن أستطيع أبدا أن أفى بوعدى لأم أحمد ·· ولن أقابلها ·

الكوخ الذى أراه أو اتخيل أننى أراه ·· يقبع مرتاحا هناك فى ظل نخلة ليتنا نملكه يا لوزة ·· مهرك غال ·· أغلى من الحياة لازلت انظر من نافذة حجرتى التى خلتها زنزانتى ·· امى فى الخارج تقرع الباب ·· الجدران أربعة والسقف خامس ·· وأمى فى الخارج ·· رأسى يدور ·· ليس عندى ما أستعين به على محو الصور التى تصـــاحبنى ·· أريد أن أبيد العنكبوت ·· أريد أن أنظف كل شيء ·· لا أملك سوى رأسى ·· هاهو ·· ملك يدى ·

توالت طرقات أمى على الحائط ·· هل انكسر الحائط ·· أم انشرخت جدران الرأس ؟

صوت صفير الديزل · وابتســـامة أم احمد · لم أعد أرى السلخانة ·· ورنوت الى ركن حجرتى ·· لقد أبيد العنكبوت ·· وذبابه وطارت الحدأة ·· واختفى النسر ··

ببصيرتى شاهدت مصنع الحديد والصلب ··

ليس عندى ما أقوله لك يالوزة ··

لن يكون بيننا رابط سوى ··

سوى ·· تنصيبك بطلة دائمة لأحلامى فقط ··

والآن ·· ها هى الدنيا واســـعة منبسطة ·· الأرض كثة الاخضرار وكوخ بعيد ·· يقبع مرتاحا فى ظل نخله ··

ما أجمل بلدنا ·· ما أجمله !

غزالة هانم

من وراء زجاج النافذة ••

بعض ضباب ندى الصباح يغلفه •• الا أن جمال ربيع المعادى الدائم لا يطمسه ضباب أو يحجبه زجاج •

أطلت أحـــلام بوجههـــا الطفلى الى اللون البنفسجى يصبغ الأشجار الباسقة•• اللون البنفسجى يوحى بالحزن ••

فى بعض أيام السنة يسود اللون الوردى ••

فى شارع ضيق يبدو الصبى فى حالة مطاردة لجرو أبيض ذى رأس فاحم يتململ من الحبل الذى اتخذ هيئة الطوق •• أمه بائعة المياه الغازية تعنفه باشارات توحى بالوعيد .

وتبتسم أحلام ••

الأطفال يملئون دنياها تلقنهم بعض مبادىء التعليم وتودعهم فى المساء ••

طرقات على الباب ··
الطرقات ملحة ··
اذن فلتتفضل بالدخول ··
ها ·· الفراش يسلمها خطابا ورديا ·· !
وبيد مرتجفة تفتحه بعد أن تغلق الباب برفق وعصبية ··
عيناها تسيران فى اتجاه واحد ··
وتعودان أيضا فى اتجاه عكسى ··
الأسلوب ·· الخط ·· المضمون واحد ·· انه الخطاب الرابع
ليس هناك توقيع ··
وليس هناك أيضا افصاح ··
رغم ·· رغم ·· ؟

هناك ساعات طويلة تستطيع فيها ان تعصر تفكيرها لتصل الى شىء ·· أى شىء ··

الحصة الأولى ستبدأ فى العاشرة ··
ونظرت فى ساعة يدها ·· انها الآن الثامنة ··

علية الصديقة العزيزة ·· رفيقة الطفولة والصبا خطبت لابن عمها مصطفى بعد أن رجع من سفر طويل قضاه فى الخارج للتعلم والتحصيل ·· أعلنت عليه النبأ لها فى انبهار ولهفة ·· التوجس انتابنى ابان سفره وخلته نسينى وأنت تعلمين كم كنت ولا زلت أحبه ·

ازداد اندماجهما معا ·· اختيار جهاز العرس والشقة وكل ما يختص بتكوين عش متماسك نموذجى ··

لم يرزقنا الله سواك يا أحلام ‥ اهدتنى أمك أجمل هدية ورحلت عنا ‥ كم اشتاق اليك يا أبى والى طلاوة حديثك ‥ نعم أعرف أنى وحيدة ‥ ولكننى أعد علية الأخت والأخ والام ‥ كلهم معا والآن ‥ اين عليه ؟

نظرت أحلام فى ساعة يدها ‥ لم تمض الا دقائق قطعتهـا فى تذكر شريحة كبيرة من سنوات حياتها الآن جاء دور مصطفى ـ مشتاقون جدا لرؤياك يا أحلام ‥ لماذا تنعزلين عنا ، علية وأنا ‥؟ الأنناخطيبين ‥ أنسيت أننا أبناء عمومة ولم نفترق الا فى سنوات الدراسة ‥ اطمئنى ‥ لن تمثلى الطرف العازل ‥ فنحن حقا فى اشتياق دائم لرؤياك ولم لا تسألين علية لتؤكد لك اقوالى ؟ هه ؟‥ وتتصافح اليدان ‥ أيشتاقان اليهـا حقيقة أم يشتاق هو الى حد ضغط اليد بعنف واستمساك ؟ ربما !

قلبها الرقيق لقنها ‥ استجيبى لدعوتهمـــا لك ‥ رحلة للقناطر الخيرية يـــوم أجازتك ‥ واحتوتهم الأرض الخضراء ‥ وأمسك مصطفى بريشته وخطط على الاوراق ‥ وحاولت علية أن تطلع على ما يرسمه وقالت فى ذلك :

ـ نحن شريكان ومن حقى أن أعرف كل ما تخرجه من نفسك وتخطه يدك ‥

وابتسمت ‥ ابتسمت علية وحدست أنه يهديها صورة فقد كان يرمقنى من حين الى آخر كأنه يأخذ برأيى ‥

ـ سنفاجئها نحن الاثنين ‥ الست بمثابة أختها ؟

نعم ‥ هى أختى يا مصطفى ‥

لكن غزالة هانم ··

غزالة هانم .. عندما طرق اسمها مسـمعى ظننت أبى يمازحنى كعادته ··

ـ لعلها فى حجم شجرة الجميز ··

ـ ابدا يا أحلامى ؟

ـ لماذا تدللها بهذا الاسم ؟

ـ غزالة هانم بين الأتراك اسم شائع ·· تركية تجـاوزت الخمسين لست أدرى بقليل أو كثير ·· لم تتزوج ولم ترتبط فهى فى عرف القانون بكر ··

وغمست عينى فى عينيها الزرقاوين ، بشرتها بلون الشمع تحادثنى وكأنها تتثاءب مددت يدى اليها ·· والتـأم التثـاؤب تدريجيا فى ابتسامة ·

ـ أحلام ·· لعلنى لو تزوجت لأنجبت مثلها ·· أو لعلهـا تمثلنى وأنا شابة ··

واندفعت الكلمات من فمى دون روية ··

ـ ما دمت لم تنجبى فأنت شابة ·

وقالت نظرات أبى المداعبة :

ـ ابنة أبيك !

فى مرة سألت أبى ·· كيف عرفتها ؟

ـ ورثت ارثا عظيما وأصبحت محاميها ··

ودخلت غزالة هانم حياتنا فأنستنى علية الى حين ·· وورقة ومجاملة مصطفى الى حين آخر ··

ربما كان لسكن غزالة هانم فى ضاحيـــــة المعادى دور فى التحاقى بمدرسة بالمعادى أعمل فيها بالتدريس ..

تلقفتنى من بين أحضان أبى وأدخلتنى فى عالمها .. فى فيللا قديمة البناء متجددة دائما فى رونقها وأبهتها تحوى كل متطلبـــات الحياة ..

مكتبة عامرة .. أثاث يمثل ما يستطيع الانسان الوحدانى أن يقتنيه ليحكى عما مضى وما سيحدث ..

موظفـــــون لا خدما يؤدون وظائفهم لـكل ركن فى الفيللا العريقة ..

أما الحديقة فقد ضمت زهور الدنيا وطيورها ..

أوهمت نفسى أنى لم أفقد أما وأن هناك واحة أستظل تحتها وقتما أشاء ..

علية أختا .. وغزالة هانم أما .. فلم لا يتم التعارف ؟

وكونا جميعا باقة عائلية ..

الخطاب الوردى الأول .. لعله من احدى الزميلات المدرسات.

وأنا لا أعرف أحدا تستوجب علاقتنا أن نتراسل وخاصة اذا .. اذا لم يكن هناك امضاء .. ولكن مهلا ..

انه خطاب طاعن يتهمنى بالفساد والرياء والخسة .. ما هذا .. لعل العنوان ليس عنوانى ولكن لا .. انى يعنينى بالتمام وفيه تفاصيل تحكى عن رحلة القناطر وأننى ومصطفى متحابان .. وعلية صديقة مغفلة ؟!

ودارت بى الدنيا ..

كيف أتصرف ·· ؟ الأفضل أن أواجه علية بالخطـــاب حتى تتأكد من حسن نيتى ·· ومن جديتى فى الابقاء على صداقتنـــــا الطويلة الصادقة ··

وغزالة هانم الصديقة الأم ·· ألا يحسن أن أستنير برأيها ·· السيدة عفوا ·· الآنسة التى خاضت تجارب سبقتنى فيهـــا بكل سنوات عمرى ؟

أين أنت يا أبى الحبيب ؟ فى القاهرة فلتنعم بوقتك ولا أكدرك وفى ميسورى أن أحل أمورى بنفسى ·· كنت تقول لى دائما :

ـ يجب أن تطحنك التجارب مهما لقتنتك من نصائح فلن يصقل شخصيتك الا المحن ··

أكنت تتنبأ لى مقدما بما سيحدث لى ؟ أنها محنة حقيقيـــة فالاتهام صارخ ومؤلم ·· ويطعننى فى أعز صديقة لى ·· الزميلات ·· أعنى بقية المدرسات معرفتى بهن سطحية تستلزمهـــا روابط العمل ولكن ·· رويدا لعلها احداهن ··

فاطمة التى تجاوزت الثلاثين ؟ ربما ··

فايزة المنطوية ·· ؟ يحتمل ·

أم حياه الشرسة ؟

وأتتنى فكرة ·· لم لا أختصر الطريق وأطرح المشـكلة أمام غزالة هانم ؟

الساعة الآن تجاوزت التاسعة ··

ولم أستعد سوى ذكرى الخطاب الأول ··

حسن ·· لقد تسلمت الخطاب الثانى والثـــالث فى فترات متقاربة ··

كان تعليق غزالة هانم على الخطاب الأول :

ـ يا حبيبتى ·· انت حسناء ·· طيبة وشابة ·· كل هذه الفضائل والنعم موطن صالح لغرس تربة الحسد والغيرة والحقد ·· لا تلقى بالا ·· لا تلق بالا على الاطلاق الى هذه الصغائر ··

قاطعتها والدموع تتأرجح فى مآقى :

ـ كيف أدافع عن نفسى ؟

ـ لم ترتكبى جرما حتى تدافعين عن نفسك !

وأفحمنى قولها ·· لقد ذكرتنى كلماتها بمداعبـــات أبى الحبيبة ··

وبدل أن ترفع احدى تلميذاتى أصـــبعها رفعت أصبعى أستشيرها ··

ـ هل التقى بعلية ؟

هزت كتفها فى عدم اكتراث :

ـ تصرفى كما يحلو لك فهى صديقتك ··

وحفزنى حبى الصادق لعلية ودموع تأبى أن تنسكب ··

قابلتنى وصافحتنى بوجه كالح ويد باردة :

ـ كيف حالك يا علية ؟

ـ كما ترينى ··

ـ تعلمين ما بيننا من صراحة ·· أراك لست فى خير حال ··

ـ أليس كذلك ؟

ـ نعم ·· ويهمنى أن تفسرى لى ··

ـ بل أن تفسرى لى أنت !

ثم طالبتنى فى رفق أشد صلابة من العنف أن أجلس لأستريح من عناء المشوار ‥ ولم يكد يحتوينى المقعد حتى باغتتنى بصوت جاف ‥

ـ لقد انفصمت خطبتى ‥

وشلتنى المفاجأة ‥ لكن لساني لم يحجم عن السؤال ‥

ـ كيف ولماذا ؟

ـ ربما كان عاشقا لغيرى ‥

ـ ألم يفسر السبب لفسخ الخطبة ؟

وضحكت من قلب مفعم بالسواد :

ـ كان حنونا فى اغتيالى ‥ ولم يشأ أن يغوص السكين حتى مقبضه ‥

ولم أدر ماذا اقـول .. احسـست كأنى ضالعة معهما فى هذا الحزن المقيت ..

وفركت يدى ببعضهما كأنى أحاول اطفـاء نار توشك على الاندلاع ‥

ـ ما ‥ سبب وما مصدر ذلك كله ؟

ورأيت فى عينيها نداء خفيا وعويلا مكتوما ودموعا مخزونة لا تريد الافصاح ‥ وباغتتنى بقولها :

ـ أرجو أن تلتقى بمصطفى قريبا ‥

وفرحت لأنى سأتقمص دور حمامة السلام ‥ وكانت تلك ضحكتها الثانية والأخيرة ‥

ـ لك عنده شيء يخصك ..

ـ شيء يخصنى ؟

ـ نعم .. صورة رسمها لك فى القناطر الخيرية .. ألا تذكرين؟

ـ لا تهمنى الصورة ..

قلت ذلك وأنا كالمشدوهة .. لقد جئت من أجل استطلاع حل للغز الخطابات الوردية التى يخطها لى مجهول .. فاذا بى أشاهد مصرع خطوبة لم تكد تولد .. ولم أجد الا غزالة هانم ..

لم أجد الاها .. صارحتها بكل ما فى نفسى، بكل ما عندى ..

وتأملتنى وشاهدت فى عينيها مشاعر لم أستطع تحليلها .. لعله حنان مخزون أو أمنيات لا تعدو كونها آمالا ..

وقالت بعد أن ناولتنى الكثير من قطع الحلوى .

ـ ألم أقل لك ؟؟ .. حسنك وطيبتك وشبابك تثير جميعا الحسد والغيرة ..

وانبثق جانب الدفاع من نفسى :

ـ ولكنها أيضا شابة وجميلة وطيبة ..

واتسع تثاؤبها ثم تجمع فى ابتسامة واهنة :

ـ هذه وجهة نظرك أنت .. ولكنها ليست الحقيقة .. هل نسيت نظرتى الثاقبة اليها ؟؟

ـ والخطابات .. من الذى أرسلها ؟ .. من

ـ اهمليها .. يا عزيزتى ولا تلق اليها بالا ..

* * *

نظرت فى ساعة يدى .. لقد قرب ميعاد الحصة ومع ذلك وفى غمار الأحداث نسيت تذكر أجمل رفيق ..

سمير ·· سمير العزيز المحامى الشاب الذى يتمرن فى مكتب أبى ··

بعد لقاءات متعددة بعضها عن طريق الصدفة وبعضها عن طريق الظروف التى تجمع بيننا تمت خطبتى له ··

نسيت الخطابات ·· نسيت موقف علية ولم أنسها ··

قلت زياراتى لغزالة هانم ··

قلت مرات وقوفى وراء نافذة الحجرة الدراسية ·· وملأ سمير على حياتى ودنياى ··

وأصبحت الخطابات الوردية فى خبر كان ·· وتجددت طاقة نشاطى فكنت ألقن تلميذاتى أجمل ما عندى ·· وأحسن ما فى الكتب ··

ثم فاجأنى الفراش بخطاب رابع !

ارتميت على أول مقعد فى طريقى ·· وتتابعت لهثات أنفاسى وخلت الدنيا كلها وقد تحولت الى زهور بنفسجية · وغابت الشمس وهى واعدة بعدم الاياب ··

وان سمير كان هدية من القدر لتطيح بكل مباهج وجمال الدنيا ··

عيناى تسيران فى اتجاه واحد ··

وتعودان أيضا فى اتجاه عكسى ··

الأسلوب ·· والخط ·· المضمون واحد ··

لكنه مضمون يحمل فى طياته لونا جديدا ··

ان سمير أفاق ٠٠ مقامر ٠٠ زير نساء ٠٠ وحرام أن يضيع شبابى معه ٠٠

مازلت على البر ٠٠ فلا أغامر وأقذف بنفسى فى أمواج حياته المتلاطمة القاتمة ٠٠

أهى فاطمة التى تجاوزت الثلاثين ؟ ربما ٠٠

فايزه المنطوية ؟ يحتمل ٠٠

٠٠ أم حياة الشرسة ؟

وتلفت حولى كسجينة لاحول لها ولا قوة ٠٠ هأنذا أقف مرة أخرى وراء زجاج النافذة ٠٠

الصبى ابن بائعة المياه الغـــازية والجرو الأبيض ذو الرأس الفاحم يتململ من الحبل الذى اتخذ هيئة الطوق ٠٠ وفجأة انقطع الحبل ٠٠ وأسرع الجرو بالفرار ٠٠ وتزايد صياح الصبى وأمه ٠

***

علية انقطعت صلتى بها ٠٠ وغزالة هانم أصبحت مقصرة فى لقاءاتى بها ٠٠ لقد قلت فى الآونة الأخيرة أو كادت أن تنعدم ٠٠

أبى ٠٠ أبى الحبيب ٠٠ كيف نسيت أن ألجأ اليه ٠٠

وجمعت كل الخطـــابات الوردية ٠٠ وكل خطوط تفكيرى وفاتحته بكل ما حدث ٠٠ وربت على كتفى وهمس فى أذنى وبث فى قلبى الطمأنينة ولقننى ما يجب أن أقوله ٠٠ جمع كل نسيج خبراته ومهاراته وغزله بحنو وروية ٠٠ وأهداه الى ٠٠ فاحتوانى من قمة رأسى الى أخمص قدمى ٠٠

وذهبت اليها ٠٠ الى غزالة هانم ٠٠ تصحبنى دعوات أبى ٠

صعدت سلالم الدار كأنني أراها لأول مرة ·· وتلقفتني ذراعا غزالة هانم كأم ·· تحتضن وليدها لأول مرة ··
وأغرورقت عيناها بالدموع :
ـ كيف طاوعك قلبك على فراقي هذه المدة الطويلة ؟
ما زال كساء أبي يدثرني ··
ـ ظروف التدريس والامتحانات ··
ولمعت عيناها ··
ـ والخطبة ؟
ـ نعم ·· والخطبة !!
ـ كيف حاله ؟
ـ بخير ·· ويهديك تحياته ··
ـ من ؟
ـ أبي ·· طبعا ··
ـ آه ··
ثم أردفت بصوت خفيض :
ـ والآخر ؟
ـ لم نعد نراه ··
واقتربت بمقعدها كأنها في مدينة ملاهي :
ـ لماذا ·· ؟ ظروف عمله أيضا ؟
ـ لا ··
ـ اذن ··
وتأملتها على مهل ·· وبعين ثاقبة ··
ـ نعم يا غزالة هانم لقد انتهى كل مابيننا

أسندت رأسها كأنه متعب من سنوات طويلة ·· وبرقت عيناها المحملقتان فى السقف وختمت جلستها بتنهيدة عميقة ··

ـ حسنا فعلت يا حبيبتى ·· تعالى ·· تعالى معى ··

مدت الى يدها المعروقة فى صلابة واندفاع كأنها ابنة العشرين ·· دارت بى فى كل الحجرات · وأشارت الى كل ركن ··

ـ هذا الثراء ·· هذه الملـــكية ·· هذا التنسيق ·· اين وجدته ؟

فى مكان آخر ·· أراهنك أنه لا أحد يعيش مثلى فى أبهـــة وعظمة و ·· انفراد ··

ـ أتعلمين ياأحلام ·· سأوصى لك بكل شيء ·· بكل ما أملك ·· من بعدى أما فى وجودى فلك كل ما تطلبين وما تشتهين كله ملك يديك ·· مرى بما شئت ·· تجدى الدنيا كلها خاضعة تحت قدميك ·· على شرط ·· الا تتزوجى أو ترتبطى بأحد أقيمى معى ·· أتركى أباك ·· دعيه يعيش بمفرده وليتزوج اذا شاء ·· فما زال شابا ·· أما انت يا حلوتى ·· فتعالى معى ·· لن يأخذك منى أحد ·

***

هذا ما وعته ذاكرتى ·· ربما قالت كلاما كثيرا ·· ودارت حول نفسها أكثر ··

لكننى مع أبى وسمير نسيت كل ما حدث ··

ولم أعد أذكر الا تلميذاتى وضاحية المعادى ذات الأشـــجار الباسقة ·· والزهور الوردية وصبيا يدور باحثـــا عن جرو فر بجلده ··

كل ذلك حدث من وراء النافذة ··

المسافة ليست بعيدة .. بين دارى ودار المجلة .. يحلو لى أحيانا أن أقطعها سيرا على الأقدام .. وخاصة فى الخريف أو الشتاء عندما يكون الجو رائقا ..

الحى نفسه .. شعبى .. طبيعى لا ادعاء فيه .. فليس هو منسق أكثر مما يجب – كحى الزمالك مثلا – أو هادر ذى ضجيج كسوق الاثنين – عندما أتلفت يمنة أو يسرة اشاهد بعض – أكشاك الجرايد – لعله من صميم عملى أو بعض الناس الذين ينتظرون على محطات الاتوبيس فى انتظار الفرج .. هناك أيضا بعض المحلات تبيع عصير الفواكه وانتاج الألبان .. والبدالين ..

وفى طريقى الى دار المجلة أحسست بشىء غريب .. لم أحس به من قبل .. ربما لأننى قرأت طالعى فى صحيفة الصباح .. فقد كتب فيها .. مفاجاة غير متوقعة .. كلا فارغ .. لأننى سأشاهد السعاة أولا ثم الزملاء والزميلات ورئيس التحرير .. فأين المفاجأة .. !؟

وعندما احتوتنى حجرتى فى الدور الثـــالث من دار المجلة انهمكت فى فحص الخطابات المرسلة من بعض النفوس القلقة الحائرة ·· هيه ·· لولا حيرتهم وتخبطهم لما (أكلنا عيش) ·

أسندت ظهرى الى مقعدى الجلدى المريح وقرعت الجرس ·· وفى دقائق دخل الساعى ·· ابتسم دون أن يسأل وبعد دقائق أخرى جاء ومعه صينية القهوة ·· سكر زيادة وطبقة كثيفة من البن تعلو سطح الفنجال ··

ثم تركنى مع الناس ·· أعنى مع خطاباتهم ·· الخطاب الأول ·· آنسة فى ريعان الشباب لا تستطيع المواظبة على المذاكرة من ·· ابن الجيران ·· أبدا ليس لأنه يغازلها ·· بل لأنه لا يغازلها·· فهو (تقيل جدا) صبرت عليه ·· أكثر من ســتة أشـــهر وهو (ولا كأنه هنا) ماذا تفعل ليلتفت اليها ؟ ··

ياعزيزتى .. المسألة ليست مسألة تقل والتقل صنعة بل لأن قلبه مشغول بغيرك أو بالدروس التى خاصمتيها ·· عندك حلين ·· وبما يصادفك آخر يتجاوب معك .. أو .. انتقلى الى شقة أخرى ·· ان ·· لم تستطيعى اغلاق النافذة ··

وهذا شاب أصيب فى أثناء تأديته عمله وأصبح ذا عاهة·· أقفلت أمامه كل الأبواب ·· خطاب جدير بالفحص ·· ســـأوليه عنايتى ··

وهذه تشكو من حماتها التى تتفنن فى اثارة حنقهـا وليس عندها الدراية الكافية لتبادلها الغيظ والكيد فماذا تصنع ؟ الرد بسيط جدا ستكونين فى يوم ما ·· حماة !

و ·· وما هذا ؟ قرأت الخطاب أول مرة كالمذهولة ··

ثانى مرة .. كل اشجانى .. تتحرك .. تتحفز ..

ثالث مرة .. تيقظ عقلى وهدأت حواسى ..

هية .. المفاجأة .. صدق الطالع أيها الخطاب العزيز .. سأتركك لست أدرى بالضبط .. الى دقائق أو ساعات لكننى الآن بالذات لا أستطيع الفرار من هذه الرؤى التى تلاحقنى فدعنى أتأملها وحدى .. كيف أنسى يوم أن عرفت حبيبى حلمى .. فى رحاب الجامعة الفسيح .. التقينا .. تعارفنا .. تحاببنا .. كل العواطف المدخرة المشبوبة منحتها اياه .. فى فترة خطوبتنا التى اختار لها أن تكون قصيرة .. غمره حبى فلم يعـــد يتحمل لوعة الانتظار .. ثم تزوجنا .. أيقظنى على الحياة .. رعانى ودللنى فى رقة وعذوبة .. وسخاء .

عندما كان يخرج فى الصباح الى عمله .. يتركنى .. وحدى مشتاقة .. ليس لعناقه فقط بل لكلمة حلوة أسرنى بها ..

فى أشهر قليلة كبلنى بكل ما يربط بيننـــــا .. أصبحت لا أطيق فراقه ولو الى لحظات لــكن .. حدث شىء أطفأ الكثير من لواعج حبى فقد حملت ..

ويبدو أن لضعف جسدى وارهاف احساسى عانيت الكثير.. فقد شحب لونى وتسارعت أنفاسى وأصابنى كلل شـــــديد .. نصحنى الطبيب بالراحة التامة ـ ولو فى الأشهر القليلة الأولى .. حتى أتمكن من استرداد صحتى ..

وأشارت على أمى أن أسافر اليها فى الريف حيث تقيم مع زوجها الثانى الذى اقترنت به عقب وفاة أبى ـ قائلة لى : طالما أنت فى بيتك لن تعرفى للراحة طعما .. لم يكن زوج أمى كريها بالقدر الملاحظ فى أزواج الأمهات .. ولا حنونا كبير القلب كالآباء .. لكنه

كفلني وكأنه يؤدى واجبا للمجتمع لا سبيل للفكاك منه ·· ولم يشجعني على السفر الا مكالمة تليفونية منه يلح على فيها بالذهاب كى أضفى عليهما الكثير من مرحى وايناسى ··

ودعت زوجي وحبيبى والدموع تسبقني فيمسحها عن وجنتى بشفتيه الحارتين ثم يهمس فى أذنى كأنه يغنى قائلا :

حافظى على صحتك الغالية واحرصى على حبيبنا القادم ·· لولا كلماته هذه ·· لما اهتممت بصحتى ·· فطالما استرددتها ضمنت سرعة عودتي اليه ولذا فقد نفذت كل أوامر الطبيب ·· تحول غذائى الى شراب اللبن الريفى الصافى وتناول الفواكه التى تقتطف توا من الأشجار ·· ومما ساعد على عودة الصحة الى ·· أحاديثـــه التليفونية اليومية ··

الحديث الصباحى كان يزودنى بغذاء للنهار كله ··

وفجاة ·· تباعدت الأحاديث ·· ثم ·· انقطعت ·· تشوش ذهنى واعتورنى القلق فهمست لأمى بمخاوفى ·· ان زوجى فى البيت بمفرده ·· لا يرعاه أحد ·· لابد أن هناك شيئا ·· وخطر لى فكرة·· أن التليفون ربما أصابه عطل لكننى تبينت ــ فيما بعد ــ انه سليم ، نصحتنى أمى وكذلك زوجها بالتريث لبضعة أيام ··

جاهدت نفسى وصبرت ·· لـكننى أحسست بالاختنـــــاق فغافلتهما وسافرت بعد أن سطرت لها كلمتين للاطمئنان ··

تذكرت أن طبيبى نبهنى بألا أجهد نفسى بالسير الطويل ·· وكنت محملة بفواكه الريف وخيراته ·· وفى طريقى الى حبيبى·· انتابتنى الهواجس ·· كنت أطردها فكانت تلاحقنى وتتشبث بى·· كل الأفكار المزعجة المظلمة ·· طافت بمخيلتى ثم تصورته أخيرا صريعا لمرض عنيف وأنبت نفسى ·· لابد أنهم دللونى أكثر مما يجب

.. لو كنت الى جانبه لصننته من كل ما هو ضار يكفى أن أزوده بحنانى وقبلاتى وعندما كنت أقترب من البيت عاقتنى لافته .. تمنع السائرين من عبور الطريق لبعض الاصلاحات .. اضطررت أن الف وأدور كثيرا وطويلا وأخيرا حاذيت البيت .. بعد أن اضنانى التعب .. والدوار أحسست به فى رأسى كأننى أتوه فى الهواء .. ثم بقيت عقبة واحدة أخيرة .. لم يكن لبيتنا مصعد .. وتحاملت على نفسى .. وأخذت أصعد الدرج واحدة .. واحدة .. أنفـــاسى تتلاحق .. صدرى يعلو ويهبط .. وأخيرا .. أخيرا شاهدت باب الشــــقة أمامى .. وأخرجت مفتاحى وكأننى أفتح به أبواب .. الجنة ..

البيت .. كئيب .. ساكن .. موحش .. مع أنى تخيرت فترة رجوع حبيبى .. هيه .. هذا حسن ومعناه أنه بعافية ما دام ليس بالبيت .. ووجدت نفسى أمام باب عشنا ففتحته وكل ما فى مقبل عليه .. ماذا .. ماذا ارى ؟

حلمى مع امرأة .. للحجرة باب آخر على السلم قفزت المرأة فى ثوان واختفت وفغر هو فاه .. وأخيرا واتته الشجاعة .. أراد أن يتكلم .. لكننى لم أسمع .. لم أع .. لم أر .. يبدو أننى قلت أشـــياء .. أشـياء غريبة .. أشياء لا أذكرها ثم أصابنى الشلل فى كل حواسى .. خيل الىّ أننى الى جوار أمى وأن هذا حلم حلمت به عندها ..

كل ما أذكره هو أنى خرجت من البيت لـكن كيف سرت ؟ لا أدرى ..

ثم سمعت صوته وهو يردد اسمى .. كل درجة من درجات السلم التى هبطتها ذكرتنى بأننى أنحدر واحدة .. واحدة ..

أفقت بعد ساعات فوجدتنى مع أمى ـ على سريرى ـ أعانى من حالة اجهاض عسير وسرعان ما مرت الأيام ٠٠ وفى خلالها أصر زوج أمى على طلاقى من حلمى ٠٠ وتم كل شيء كما ينبغى ٠٠

وهأنذا الآن ٠٠ امرأة فى الخامسة والعشرين من عمرها ٠٠ أعمل بالصحافة ٠٠ كى أنسى ولا أكون عالة على زوج أمى ٠٠

أما هذا الخطاب الذى أسلمنى الى كل تلك الرؤى ٠٠ فقد وجدت فيه نفس الشكوى ٠٠ نفس القصة ٠٠ نفس الخديعــــة ٠٠ نفس الحسرة والعذاب ٠

تاه فكرى ٠٠ ماذا يجب أن أقول لتلك المرأة ؟

أية نصيحة يجب أن أسديها اليها ٠٠

انها لم تطلق بعد من زوجها ٠٠ فهل أحكم عليها بأن تكون مثلى ؟

انى رغم عذابى ووحدتى ٠٠ مازلت أحب زوجى ٠٠

وهى ٠٠ هى أيضا تحب زوجها ٠٠ فهل أقضى عليها بالحرمان مثلى ٠٠ هل أقتلها ٠٠ ؟

وجاشت عواطفى وانهمرت من عينى الدموع ٠٠ فتحسست القلم وأمسكته بيد مرتعشة وكتبت هذه العبارة البسيطة الموجزة :

« ابقى على زوجك » ٠٠

الحاجة عيوشة ...

قصة قصيرة فائزة فى مسابقة نادى القصة للقصة القصيرة لسنة ١٩٦٢

أغلقت باب شقتى ورائى ونزلت السلالم فى طريقى اليها .. الى الحاجة عيوشة ، وفى نفسى أن أسير بتؤدة حسب أوامر الطبيب وفى نفسى أن أطير اليها .. المنيرة هو الحى الذى أقطن به .. بينه وبين حى السيدة زينب مسافة ليست بالطويلة للفرد العادى وليست بالقصيرة بالنسبة لى فأنا حامل أكاد أقترب من أيام الوضع ..

من حوالى ثمانية أشهر جاءتنى ـ الحاجة عيوشة ـ تتسربل فى أردية قاتمة تكاد تحجبها تماما فلا يظهر الا أطرافها المدببة ـ أصابع يديها وقدميها ـ من حذائها المفتوح ووجهها المستطيل الذى لم يبق منه الا تحديدات عظامية مقسمة بلا نظام تحوى فى داخلها عينـــين شديدتى الحلكة .. وانفا كأنه قرن فلفل طرفه المدلى معوج بعض الاعوجاج .. أما فمها فهو يرسم خطا لفتحة عريضة يكشف ـ عندما

تفتحه عن أسنان مبعثرة متباينة الأطوال والأحجام . اما الاذنان فلم أرهما لأن الطرحة السوداء أخفتهما تماما ، ومن شدة نحافتها لم أعرف ان كانت متوسطة الطول أو هى طويلة القامة فعلا ٠٠ جاءتنى عن طريق صديقتى ألفت التى زكتها قائلة : مسكينة لا عائل لهـــا ٠٠ اجعليها ضمن حسناتك يا هند ٠٠

عندما شاهدتها أول مرة لمحت فى عينيها أشياء كثيرة لعلهـــا الاستماتة فى التوسل واستجداء الاشفاق ٠ ولقـــد عرتنى هزة لم أستطع اخفـاءها ٠ ربما كان ما شدنى اليها هو مبادرتها بتحيتى قائلة :

ــ سيدتى ٠٠ خادمتك المخلصة الحاجةعيوشة تحت تصرفك وفى انتظار أوامرك ٠

خضوع تام وذلة مؤثرة لمن هى فى مثل حساسيتى ٠

بكلمات قليلة أفهمتها أننى فى بداية حملى وأن الطبيب أشار على ألا أجهد نفسى ٠٠ حقيقة أن عندى ــ فى الشقة ــ فتاة صغـيرة لـكنها لا تكاد تقوى الا على أعمال البيت الصباحية المألوفة ٠٠ أما الطهو فهو يحتاج الى مهارة نسوية متمرسة ، لا أنكر أننى كنت أجيده تمام الاجادة ، بل لن أتجاوز الحقيقة لو قلت هو من هواياتى المفضلة ٠٠ انما أوامر الطبيب هى أوامره التى ستعود قطعا على بالفائدة ٠

لى ابنة وابن أصغرهما فى الثامنة وهى ميرفت ، ولذا فأنا فى لهفة لأن أكون أما للمرة الثالثة ٠٠ ! وزوجى ٠٠ يحبنى أشد الحب ويعمل على راحتى ٠٠ لكن مستوانا المادى يحتاج الى بعض الشرح ٠٠ فزوجى كان صاحب تجارة رابحة ثم خسر كل شىء فاذا بنا نبنى من جديد ٠٠

وقد ساعدته ــ بطريقة غير مباشرة ــ فىأعمال البناء ٠ تولى هو قطع الأحجار وعملت أنا على تنظيم عملية البناء وكنا ــ هـو وأنا ــ

تراقب نموه بتؤدة وحذر حتى لا يختل فتنهـار جهودنا مرة أخرى وعندئذ ينتابنا اليأس أو يصيب عزيمتنا الوهن ٠

كانت الحاجة عيوشة ضمن أدوات البناء ٠٠ فأجرها فى حدود المعقول ، ولذا فقد رحبت بها ماديا ومعنويا ٠٠ !

ومطبخى ملائم لنفس الجو الذى أعيش فيه ، فهو صغير الحجم حقيقة ٠٠ لكنه لوكان فسيحا فما كنت لأستفيد من ذلك شيئا ٠

يحتوى على دولاب صاج أطول منى بنصف متر ٠٠ فهل عرف طولى ؟؟ اشتريته حديثا من أموال الجمعية التى بينى وبين صديقاتى وقد استغرق توفيرها حوالى العام ، ثم (مطبقية) لاتتسع الا لعشرة أطباق للاستعمال اليومى ونحن والحمد لله لا يجيئنا الضيوف الا ثلاث مرات فى العام ، وفى هذه المرات الثلاث استعمل أطباقى الفـاخرة التى أحتفظ بها فى (البوفيه) ٠

وهناك المائدة التى نطهو عليها وجهاز بوتاجاز صغير ــ أصغر حجم فى السوق ــ وطبعا صفيحة الكيروسين وصنـدوق القمامة فلا مفر من وجودهما ، ودولابى الصاج ــ أو (النملية) ــ يحتوى على بعض الخزين المجفف مثل الأرز ــ المكرونة ــ الشاى ــ البن ٠٠ الخ ٠

أما فى ركن منزو فأنا أحتفظ بشىء مستور ٠٠ مستور بمفرش أبيض ناصع البياض ، كالذى تعلن عنه دعايات شركة صابون أومو تحته بشكير وردى اللون فى حجم المفرش تقريبا يغطى فوهة قدر من الفخار ، أما مابداخله فهو مسلى بلدى ذو رائحة زكية مغرية ٠٠ هذا السر لا يعرفه أحد سواى ٠٠

خلاصة القول أن مطبخى صغير يحتوى على الضروريات هذه ٠٠ عدا بعض قطع الصابون التى صنعتها بيـدى واحتفظ بها فى أعلى (النملية) ليتم جفافها وعندئذ تطول مدة استعمالها ٠

ألفتنى الحاجة عيوشة وألفتهـــا ، ومعا ألفنـــا المطبخ ، وهى لشيخوختها ولرقة جسدها ونحوله كانت تقوم بعملها وهى جالســة أرضا تطهو الطعام (وتحبشه) بدعواتها وهمساتها الحانية .

قالت لى ان لها حفيدين .. فتى وفتاة من عمر ولدى ، وأن ابنها ــ والدهما ــ تزوج بعد أن ماتت أمهما بأخرى وأصبح أبا لنصــف دستة جديدة من الأبناء .

وقد رضيت بأن تتكفل بأوائل الطـــابور ، ولذا فان ملابس أولادى كانت تنتقل الى حى السيدة زينب وهى محتفظة بجـدتها ، كل ما فى الأمر أن وزن أبنائى يزداد ..

وفى بعض المرات كنت أقطع عليها استغراقها فى العمل بحلو حديثى ــ وهذا بشهادتها هى ــ لأمنيها دائما بملابس جديدة وبأن الله سيتولاها برحمته فيغدق عليها من عنده أثواب الصحة والستر .

والحقيقة أنها كانت تبذل عصارة نفسها لأحصل أنا على طعـام ذا نكهة لذيذة ولها آراء ومقترحات للتدبير والتوفير ممـــا يصح أن نتحدث به فى ندوات تخص ربات البيوت حتى كان يوم .. دخلت عليها فيه ..

واذا بها تقترب من جوهرتى المكنونة ــ قدرة المسلى البلدى ــ قلت فى نفسى ربما تريد أن تزيد الطعام دسامة .. ثم وضعتها فى صفيحة متوسطة الحجم لم أرها قبلا .. قلت فى نفسى مرة ثانيــة ربما لا تريد الانتقال من مكانها عدة مرات حتى لا تتعب فلجأت الى هذه الصفيحة .

وانسحبت بهدوء من المطبخ دون أن ترانى وأنا فى شبه حيرة ولما انتهى عملها كانت تحمل فى يدها ربطة كنت أراها معها أحيانا .. قلت لها ــ متعمدة ــ هاتيها عنك ..

ووقعت من يدى الربطة ــ ربما عن قصد ــ فاذا بالصفيحة الملآنة مسلى وبعض المفاجآت ٠٠ أحدها ملاعق وبعض قطع الصابون ــ صنع يدى ــ التى كانت فى أعلى النملية ٠٠

ما معنى هذا ؟ ليس له الا معنى واحد لكنه غير معقول ٠٠ لم تكن هناك فسحة من الوقت كى أفكر وأفلسف وأطبق ، لكنها المباغتة التى شلت تفكيرى فعجزت عن التصرف ٠٠ العجيب اننى توقعت منها أن ترتبك وتصاب ولو ببعض العصبية ، لكن ما حدث هو هذا ٠٠

ان الارتباك أصابنى أنا ٠٠٠

والرجفة انتابتنى أنا ٠٠٠

والبلاهة ــ على ما أعتقد ــ ارتسمت علاماتها على محياى ، فلقد تأكدت من هذا بعد مدة وجيزة عندما لمحت فى المرآة ٠٠ صورتى ٠٠

أما تصرفى معها فكان الصمت ٠٠ !

أحببت ــ فيما بعد ــ أن أستعيد رؤية تلك اللوحة فكانت ٠٠ أن الحاجة عيوشة منحها الله وجها جامدا ونظرات متسلطة تختلف تماما عن تلك النظرات التى لمحتها فى عينيها أول مرة شاهدتها فيها . ويبدو أنها قد وهبت أيضا صفة يتمنى الكثير من الناس أن يتحلى بها وهى قوة الأعصاب ٠٠

فى دقائق ٠٠ جمعت أشياءها وانصرفت ولم أعرف حتى اليوم هل خرجت ومعها المسروقات أو بعضها أو لم تأخذها بتاتا ٠

وكالمنومة انصرفت الى حجرة نومى ٠٠ ولا تزال حواسى مخدرة واذا بى أصحو مرة واحدة ٠٠ وفى نفسى انفعالات جياشة لأستعيد بعض مراحل طفولتى ٠٠

شقيقتى التى تصغرنى وهى تستولى على أجمل حاجياتى لتتفنن فى اتلافها أو اضاعتها ٠٠

بعض زميلاتى وصديقات الطفولة بالمدرسة يضعن على ظهرى ورقة كبيرة ناعمة ومسطرة ومكتوب عليها بخط يكاد يقرؤه الأعمى _ حمارة أمى ٠٠ وهى تقرص أذنى عندما تشاهدنى أتعارك مع شقيقتى قائلة أنت الكبرى ويجب أن تتحمليها وأن تسامحيها ٠

خالى ٠٠ يربت على كتفى ثم يولى وجهه ناحيـــة أمى وتعبيرات وجهه تنطق بالحب المقرون بالشفقة ليقول :

هند لها عقل صاف ولـكن ٠٠ ؟

والآن ٠٠ الآن بعد هذا العمر وذلك المشوار الطويل تعترض حياتى الحاجة عيوشة ولم أملك نفسى ٠ وودت أن أخبط رأسى فى الحائط ودمعت عيناى كمدا ٠٠ هل ينقصنى الذكاء ؟

هل أفتقد الحرص ؟ ٠٠

ألم أواصل كفاحى مع زوجى _ وبشهادته _ خرجنا من أزمات كثيرة وطويلة ٠٠ لا تهمنى المسروقات ! فكل شىء يمكن تعويضه ٠

أما الغفلة ٠٠ أما تلك المباراة التى يخرج منها أحد الطرفين مطأطىء الرأس فيبكى ولا يذرف دمعا ليشاهد الآخر يبتسم دون أن تظهر أسنانه فهو الشىء القاتل ٠

وأخذت أذرع الحجرة جيئة وذهابا وأنا أردد لنفسى ٠٠ لا ٠٠ لست حمارة ٠٠ لا ٠٠ لست بليدة ٠٠ أو مغفلة ٠٠

ولكننى انسانة لها قلب يحس ويعطف ٠٠

خيط دقيق جدا ذلك الذى يفصل بين الطيبـــة والضعف ٠٠ وعندما صفا ذهنى وهدأت انفعالاتى عولت على أمر ٠٠

ولم أنم تلك الليلة ولم أخبر زوجى بشىء و ٠٠ وبذا اختزنت أشياء كثيرة عزمت على أن أفرغها وحدى دون معاونة من أحد ٠٠

فقد كان التحدى بينى وبين نفسى ، وفى صبيحة اليوم التالى انتظرت مجيئها ٠٠ ولأول مرة فى حياتى أحس برغبة جارفة فى أن أنتصر ٠٠

كان طرد تلك المرأة أمرا عادلا ولكن ٠٠ حلالى أن أداعبها أولا٠ واسترجعت بذاكرتى صورة لقطتى التى تطارد فأرها فتحصره فى ركن ضيق ثم تفسح له طريقه لتوهمه بالفرار ٠٠ حتى تعاود محاصرته وتكرر ذلك فيموت بدل المرة مرات وعندئذ تتم عملية الالتهام !

وتخيلت نفسى وأنا ألاحق الحاجة عيوشة كظلها فاذا ما شعرت بالظمأ فسأرتوى من مطبخى العزيز ٠٠

ولو قيل لى : ان هناك حريقا فسأوهم نفسى بأنها اشاعة حتى لا أدعها بمفردها ٠

ثم تصورتها عابسة ٠٠ محنقة ٠٠ متململة ٠٠ عندئذ سأوهمها بأن حبى لها تفاقم ولم أعد أستطيع مفارقتها ٠

ثم سأزيد من أجرها وبعدها بساعة ٠٠ ســـاعة واحـــدة ٠٠ سأطردها ٠٠

ثم تنفست الصعداء ٠٠ يا لها من صور رائعـــة وجميلة ٠٠ ليتنى تصرفت هكذا ٠٠ منذ ٠٠ منذ طفولتى ٠٠

ثم صحوت على جرس الباب ٠٠ انه ميعادها ٠٠ سأتأهب ٠٠ سأكون باردة ٠٠ متمالكة لأعصابى ٠٠ قوية ٠٠ نعم قوية ٠

وفتحت البـــاب لأرى ٠٠ فتاة ٠٠ ويحها لعلها تريد الشـــقة المواجهة لشقتنا ففيها فتاة من عمرها ٠٠ يا لها من مفاجأة لم أكن أريدها ٠٠ لكنها تقطع على تفكيرى بقولها ألست السيدة هند ؟

وبكبرياء هززت رأسى ٠٠

قالت : الحاجة عيوشة ٠٠ جدتى ٠٠

لكننى قاطعتها قائلة بصوت لا حياة فيه : ماذا تريد ٠٠ ماذا تريدون منا ؟

قالت بصوت منتحب : جدتى أصابتها أزمة مفاجئة وسنذهب بها الى القصر العينى ٠٠ ألحت فى أن تراك وحاولت أن تمشى مرارا لكن الروماتزم الذى شل ساقيها أقعدها عن الحركة ٠٠ انها تبكى وتنتحب وترجوك أن تذهبى اليها ولو أنه شىء غير لائق ٠٠

نسيت مناوراتى وصورى الجميلة التى صاحبتنى طيلة ليلة أمس ولم أعد أذكر سوى امرأة متسربلة بأردية قاتمة تكاد تحجبها تماما فلا يظهر منها الا أطرافها المدببة ٠٠ شحوب وجهها ٠٠ سقمها ٠٠ شيخوختها ٠٠ ثم وهى جالسة أرضا تطهو الطعام وهى تلهث وفجأة ٠٠ رنوت ثانية الى حفيدتها وتعلقت عيناى بالثوب الذى ترتدينه .. ثوب ابنتى ميرفت ، ثم اشحت بوجهى .. كى أخفى أشياء كثيرة ولما أدركت الفتاة صمتى وعزوفى عن الكلام كررت قولها وحياة الست ميرفت أرجو أن تلبى رغبة جدتى الأخيرة وتأتى معى ..

أغلقت باب شقتى ورائى ونزلت السلالم فى طريقى اليها ، الى الحاجة عيوشة وفى نفسى أن أسير بتؤدة ــ حسب أوامر الطبيب وفى نفسى ان أطير اليها ..

بصمة ·· على سطح مياه

مركبة القمر تعرضت أربع مرات لحدوث كارثة ··

أربع مرات ·· تكفى جدا أربع مرات ··

الذهاب الى عيادة طبيب الأسنان مرة كل سنة تـكفى جـــدا لحدوث كارثة ··

ليلى الانسانة الرقيقة ·· لم أستطع الاتصال بها ·

يستحسن أن تطمئنى على وجودى بمحادثة تليفونية ··

أعرف انى ذهبت أكثر من مرة لعيادة ذلك الطبيب ··

وأعرف أيضا أنه طبيبى المعالج ·· الا أن ذلك لا يمنع اطلاقا من حدوث الكارثة ··

ماذا يضيرك لو ذهبت بدونى ؟

وماذا يضيرك لو ذهبت معك ؟

قد تحدث الكارثة ··

وقد لا تحدث ..

تتحملها اثنتان أفضل من واحدة ينتابها الرعب وهى فى أحلى استرخاء أو أجمل حلم ..

مسكينة ليلى .. زوجها ! ومع ذلك سأذهب اليها .. الميعاد ملائم ؟ قد ينام البعض .. لكنه لا ينام .. تعلم تماما أنه لا ينام.. ليلى قالت أنه لا ينام .. وهو أيضا قال ذلك ..

يفتح لها الباب –

– أهلا سامية

تبتسم ابتسامة مشرقة خلفها عقل يموج .. مركبة القمر تنجح فى العودة الى السفينة الأم أبوللو (١٠) .

مفاجأة غير متوقعة .. عذرا يبدو أن أحد تليفونينا عطلان . تماما .. انه جهازنا .. تفضلى .

بيت مستريح .. كل ركن فيه فكر .. تذوق .. والأهم من ذلك كله المال .. المال صانع .. صانع كل المعجزات ؟ ولم لا أقول صانع كل شىء ؟

– كيف حال الأولاد ؟

الأولاد ؟ ماتبقى منه ؟ حادث الطيران المروع .. كأننا فى شهر عسل دام ؟ نعم دام مايقرب من ثلاث سنوات كانت كافية لصنع نعش للذكريات .. الابن الأول رأى ملامح العائل .. أما الثانى فقد احتوته جدران بطنى التى تلقفته ثم احتضنته وظللته وكفكفت دمعه شتاء ورطبت جسده صيفا رغما عن جسد أمه .. جسدى الذى أن وتوجع فى سويداء الليل ..

لعلهما بخير يا ست سامية ..

عيناى تصافح عينيك تتأملهما .. أريد أن أجيبك وأقول أيضا معك انهما مازالا بخير لكن ينقصهما الكثير .. هززت رأسى والكلمة لاتستطيع أن تخرج حية من شفتى فغصة من دموع تحتجزها .

ليلى قالت لى مرارا لا تنخدعى بقوله للضيوف والأصدقاء — وخاصة الصديقات منهن « ياست فلانة » .. انه وحش فى صورة آدمى لا يستريح الا اذا مزقنى من الأسئلة التى تنهش ملابسى — وتصنع تشوهات حارقة تلهب جلدى ..

ألم يظهر ابن الحلال حتى الآن ؟

كيف تعيش بلا رجل وهى بهذا الجمال وذلك الصبا .. ليست أول من ترمل أو من انجبت طفلين ليصبحا يتيمين . لو كانت لى مثل هذه المرأة لأغلقت عليها أبواب نفسها ! وليلى ؟ .. لابأس بها .. مستكينة راضخة .. هل نسيت أو تناست ظروفها ؟ هه كيف تنسى وأنا سيدها ؟

ضرسى يؤلمنى ويدق فى رأسى أعمدة من صلب تصنع مثلثا أضلاعه حسن وحسين وأنا بودى أن أنهى هذه الزيارة لأحتويكما بين ذراعى .. وأخرج من هذا الأتون .. رب البيت يضيفنى ويتأملنى .. أما أنا فأتأمل هذا الركن .. أصيص زرع ينبت منه جناحان أخضران يتطاولان حتى يصلا الى سطح السقف .. والسقف ينشق ويظهر وجه ليلى الباسم الحزين ..

لا تتخيلى كيف يعاملنى ماهر .. يغدق على أمواله فتكسونى فرنا بالغ الصقيع .. هل جربت الكره ؟ أن تعافى كل ما تمسه يداه .. ومع كل .. فأنا .. أنا حرة تعمدت ألا أنجب منه حتى لا أزيد أعباء عائلتنا بشيطان جديد .

أليست هناك حيلة يا ليلى .. أليس هناك مفر أو أمل ؟

المساء .. المساء .. نقل سرحان بشارة الى سجن الاعدام .

يهب ماهر من جلستهمنتفضا ويكاد ينسى وجودى :

ـ انت يابت ٠٠ ياواد ياسيد انزل اشترى المساء ٠

ـ ياسعادة البك ٠٠ بتاع الجرايد ح يجيبه كمان شوية ٠

ـ معنديش وقت با أقول لك انزل ياكلب ٠٠

كلب ؟ لقد كانت أول رائدة فضاء كلبة !

سطح السقف يلتئم مرة أخرى ويغيب وجه ليلى ويتعـــانق الجناحان الأخضران ٠

ـ كيف حال ليلى ٠٠ احتاج اليها هذا النهار لتصحبنى فى زيارة لطبيب الأسنان ٠٠

لولا جمالك وهدوءك لعارضت ٠٠ فهى لا تخرج الا معى ٠٠ وهل يعقل أن تنزل امرأة فى الخامس والعشرين من عمرها هكذا بمفردها ٠٠ فى هذه الدنيا الواسعة ؟

ـ اسمعى ياست سامية ٠٠

هه ٠٠ لك الله ياليلى ٠٠ لقد ذكرتنى هذه التسمية بك ٠٠ سأتأمله على انفراد لتحدثنى كل قسمات وجهه بما خفى على ٠٠ هل تبالغين فى شكواك منه أم انه حقيقة كما تصورينه ؟

ـ الرجل هو السيد .. « لاترفعى يدك احتجاجا ياست سامية .. لم أكن أظن أن هناك ذبابا يحوم حول وجهك » ..

كان المرحوم يحتوينى بين ذراعيه حتى وهو يقود طائرته بمفرده ٠٠ اثق فيك يا سامية كأنك أمى فقد منحتك هـذا اللقب بعد أن أنجبت لى حسن ٠٠ الحب يصنع المعجزات ٠

ـ مهما ارتقت المرأة ونالت من العلم فهى لاتعدو تابعا ٠٠

يقول فيثاغورس هناك مبدأ خير ينبثق من النظام والنور والرجـل ومبدأ شر خلق الفوضى والظلمة والمرأة !

الظلـــمة يا ابن ال ٠٠ لم نظلم « لايكا » وكانت أول رائدة فضاء ؟ اكمل يا بن ال ٠٠ سأتأمل بدورى هذا الركن ٠٠ اصيص زرع اختارته ليلى ينبت منه جناحان أخضران ٠٠ يتطاولان حتى يصلا الى سطح السقف ٠٠ والسقف ينشق ويظهر وجه ليلى ٠٠

ـ أتعرفين ياست سامية ٠٠ ليلى سعيدة جدا بزواجها منى ٠٠ شكرا لابتسامتك فأنا أعرف انك تفهمينى .. تفهميننى تماما.. فأنت تعرفين قيمة الرجل لولا عيب بسيط فى ليلى ربما يدعو للزهو ٠٠ الغيرة ٠٠ الغيرة يا ست سامية ٠٠

« اسمعى يا سامية ٠٠ انا زوجك وحبيبك سألقنك شيئا ٠٠ الغيرة بين حبيبين أحلى من العسل ٠٠ أما بين طرف محب وآخـر كاره ٠٠ أقول لك ٠٠ دعينا من هذا الحديث ٠٠ وهاتى ٠٠ هاتى كل ماعندك !

ـ أفندم يا سيد ماهر ٠٠ اعذرنى فضرسى يؤلمنى ٠٠ وينبهنى من وقت لآخر بوجوده !

ـ انصحى ليلى ٠٠ انصحيها بما عرف عنك من هدوء وسماحة ان الغيرة مهدمة ٠٠ غريبات هؤلاء النسوة ٠٠ رغم قسوتى عليها أنا لا أنكر ذلك ٠٠ لا أنكره ابدا ٠٠ حتى والدتها لاتزورها الا ورجلى على رجلها ٠٠ حتى محادثاتها التليفونية أعرفها أولا بأول حتى من تنوى مجرد نية أن تحادثها من صديقاتها وقد لا تحادثها ٠٠ تعرفنى بنواياها أرأيت ؟

ـ معذرة يا سيد ماهر ٠٠ أتقول أنها تغار عليك ؟

ـ نعم ٠٠ قطعا !

– أكمل .. فانني مصغية اليك !

ترى من منا سيرحل قبل الآخر يا سامية ؟ مددت يدى بعصبية تلغى كل ما تفوه به سنرحل معا ..

وقال حبيبى الراحل .. – وحسن لمن نتركه ؟

– قلت – سيرحل معنا ..

قال حبيبى الراحل .. أهكذا تهدمين عشا قوامه ثلاثة أفراد ورابعهم فى الطريق .. قلت – ومادمنا معا فسنستأنف حياتنا مرة أخرى .. ان كان هناك شيء ..

قلت لحبيبى الراحل .. ما الذى جعلنا هكذا نتحد حتى نكاد أن نلتحم فيصبح لنا كبد واحد وقلب واحد .

قال حبيبى الراحل وهو يشير الى قطة بعيدة تلعق أبناءها الصغار – كيف تغيرين الحياة ؟

الحب .. الحب وحده ينبت الزرع .. يبيد الجراد ويشفى الأوجاع .

قلت لحبيبى الراحل – أيحتاج الى براهين ؟

لم يجبنى حبيبى .. فقد رحل .

– يا أستاذ ماهر .. هل سأبقى مدة طويلة لألتقى بليلى ؟

تلفت حواليه وصوت بائع الجرائد يصك مسمعينا ولحن مشوش لملاعق وسكاكين تعلن بداية وجبة أو نهايتها فى نهاية الدار .

– أليست محور حديثنا .. فانها معنا .. كم تسعدنى طريقة اصغائك لحديثى ..

يقولون اننى محدث لبق .. يقولون .. ومن يدرى مدى صحة ما يقولون !

المسكينة تحاول أحيانا أن تعترض على بعض ما أقول وليس

أمامها والحال هكذا الا أن تعارضنى ·· أقصد بالكلمات ولكن من ناحية التنفيذ سرعان ما تتراجع فورا ·· الا تسمين هذا حبا ؟

ـ قلت لحبيبى الراحل ـ أيحتاج الى براهين ؟

لم يجيبنى حبيبى ·· فقد رحل ·

ـ اراك تحسنين الاصغاء الى حد الصمت ·· ماذا أصابك ؟

.. اتحتاجين الى بعض أعواد القرنفـــل الجافة أم المسحوقة لتخففى من حدة آلام ضرسك ؟

الحب ·· الحب وحده ينبت الزرع ·· يبيد الجراد ويشفى الأوجاع ·

ـ حسن اراك تلتزمين الصـــمت ·· أنا معك ·· كلى معك فالحالة لا تســـتدعى التطبيب من جانبى ولندع ذلك للطبيب المختص .. والآن ماذا كنا نقول ؟ اعنى ماذا كنت أقول ؟ ليلى العزيزة من قوة حبها لا تريد أن تنجب حتى لا تجزىء عواطفها فتمنحنى شطرا وآخر للمولود .. يا لها من امرأة ! .. وتقول انها مازالت فى أول الشباب ونسيت أنها تزحف نحو الثلاثين .. ها .. ها .

ـ هاك يا سيدى جريدة المساء ·

ورغم كل المتاعب ·· نجحت المركبة القمرية فى العودة الى السفينة الأم ·· حسن حسن ·· أريد أن أقرأ هذا ·· نقل سرحان بشارة بالطائرة الى سجن الاعدام ان فرصته فى الافلات يعكسها العدد الكبير من المحكوم عليهم بالاعدام فى سجن « كوينتين » ولم ينفذ فيهم الحكم وعددهم يفوق السبعين رجلا ·· حسن ·· حسن ترى أيفكر سرحان فى مستقبله ؟

وهاك آخر يغير قلبه ليزرع قلبا آخر رغم ضعف الأمل فى نجاح العملية بالنسبة لسابقاتها .. ما هذا العالم ؟

وقامت سامية من كرسيهـا وحدقت الى اصيص الزرع وتطاولت بناظريها الى الجناحين الأخضرين وابتسمت ثم قالت :

– لابد من خروجي ولكن ٠٠ أليس هناك أمل فى أن أصافح أو حتى أشاهد ليلى ؟

ونحى ماهر الجريدة من يده فى عصبية ولمعت فى عينيه نظرة متوثبة ٠٠

– أتظنينني بلا قلب ٠٠ انهـــا نائمة من تعب النهار ورهافة حساسيتها وارهاق أعصابها من لواذع الغيرة ٠٠ ومع كل فسأحاول ايقاظها من أجل خاطرك ٠٠

شاهدت يده اليمنى مختفية فى قفاز شعر تمسك بأكرة الباب فى عنف واقتحام ٠٠ وانفتح الباب ٠٠

ليلى ٠٠ ليلى استيقظى ٠٠ سامية تنتظرك ٠

اجتاحتنى رغبة فى أن أعيد فتح الباب بيدى الملساء وأصابعى الحنونة نحيته جانبا برفق .. أعنى الباب .. وتلفت فى كل انحاء الحجرة كل ركن فيه فكر ٠٠ تذوق ٠٠ والأهم من ذلك كله المال ٠٠ المال صانع المعجزات ولم لا أقول صانع كل شىء ؟

ووجدت كل شىء ٠٠ كان كل شىء قابعا فى ركنه منســـقا وجميلا ٠٠ عداها !

لم تكن ليلى بالحجرة ٠٠ وتصافحت عيوننا ونكس ماهـر رأسه ونادى :

– يا سيد .. ابحث لى عن جريدة المساء .

– لا مفر من ذهابى الى طبيب الأسنان وحدى ٠

وحدقت للمرة الأخيرة فى سطح السقف وأطلت ليلى بوجهها .. حاولت ان ألمس السطح بأصبعى لأ ترك لها بصمة .. بصمة على سطح مياه ٠

الفهرس

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٢١٥٦